الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنـــوان الـــمذكـــرة

الـــــهويـــة وإعـــادة بنـــاء الـــذات المتـــلاشيـــة في روايـــة "الحيّ السفلـــــيّ" لـ : عبـد الـــــوهـــاب بن منصـــــور

مذكـرة مقدّمـــة لاستكمـــال شهـادة المـــاستـــر في اللّـــغة والأدب العـــربـــي

تخصـص: *أدب عربـي حـــــديث و معـــــاصـر*

إعـداد الطالـــبة:
بـــــراهـم فـــريـــال

إشراف الأستـــاذ:
د. عـدنـــــان فـــوضيل

السنة الجامـــعية: 2022 / 2023

الشكر والفضل الأول لله على توفيقه في مساري الجامعي وتيسير أمري وتحقيق مرادي والحمد لله لعظمة قدرته وجلالة سلطانه.

يقال بالشكر تدوم النعم وبالإخلاص تشحذ الهمم وتصعد القمم.

أتقدم بالشكر الخاص لأنصار الكلمة الطيبة والقدوة العالية، ولكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي لجامعة بجاية. فمني لهم كل التقدير والاحترام، فليس الأستاذ من يقدم المحاضرات بل الأستاذ المتميز من يلهم الطالب ويدفع به نحو التميز والتألق في طلب العلم والطموح للمعرفة والنجاح. فكان لي الدكتور المشرف "عدنان فوضيل" نعم السند والقدوة وخير المرشد.

ولا يفوتني أن أذكر بعض الأسماء التي منحت لي الدعم النفسي والمعنوي:

د/غانم رشيدة د/دحماني لمياء د/سامية إدريس د/بلخامسة كريمة أ/خالدي ليدية د/شيبان سعيد ...وبحال ما نسيت أي أستاذ فلكم مني كل الامتنان. فلكم مني أسمى عبارات التقدير والثناء.

أشكر لجنة المناقشة، التي أتشرف بهم لقراءة عملي هذا وأثمن لهم توجيهاتهم وتصويبهم مذكرتي هذه.

والشكر موصول لزملائي في "نادي كلمة للثقافة والإبداع لقسم اللغة والأدب العربي".

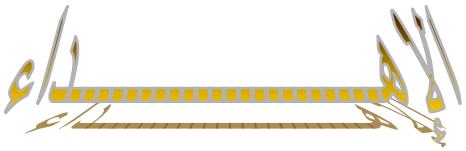

أهدي هذا العمل المتواضع إلى عائلتي الكريمة، والدتي نبع الحـــــــب والحنـــــــان.

إلى من ساندي في مشواري ورافقني في دراستي أخي الوحـــــــــيد (حكـــــــــيم).

الإهداء الأعظم إلى خالتي. وبالخصوص إلى ابن خالتي الصغير (ريـــــاض) أتمنى له الشفاء العاجل.

لي الشرف أن يكون عملي هذا تحت إشراف الدكتـــــور

(عـــــــدنان فـــــوضيـــل).

مقدمة

مقدمة:

إنّ سؤال "الهوية والذات "من الأسئلة التي طرحها الفكر الثقافي والأدبي في الساحة العربية والوطنية منذ العقود الأخيرة من القرن العشرين، لما تحمله من أبعاد إيديولوجية، اجتماعية، نفسية وأدبية. فإن العلاقة الجدلية بين هذين المفهومين حركت الأقلام الروائية المعاصرة ليكون الخطاب الروائي فضاء واسعا لإعادة الاعتبار للهوية المهمشة والذات المقموعة من طرف سلطة المركز.

لقد أظهر الخطاب الروائي المعاصر–الجزائري خاصة–انفتاحه على القضايا الإنسانية المهمشة للتعمق في سراديب المسكوت عنه وتبني مغامرة السير على حافة الهامش لنقل بواطن الذات واستكشاف العالم الداخلي لتحديد هوية "الأنآ" وإعادة إثبات وجودها بتقنيات وميكانيزمات كتابية سردية جديدة استجابة لمتغيرات الواقع سياسيا، اجتماعيا وثقافيا وأصبح السرد تقنية يحمل على عاتقه ثيمة الهوية والذات كمرتكزات إبداعية رافقته حركة نقدية مواكبة لتلك المتغيرات لتحديد المخبوء والمضمر فيه بإجراءات جديدة متجاوزة الدراسات البنيوية المحايثة وتبني غمار الما بعد البنيوية القائمة على النقد الثقافي كفاعلية متكاملة يبحث في ما وراء المعاني واكتشاف الأنساق الثقافية المضمرة الغير المصرح بها علنا، وبالتالي تعد الذات والهوية إحدى القضايا الحساسة أدبيا ونقديا.

إذا كان الأدب موضوعه الحياة فإن الأديب المبدع عضو من تلك الحياة يجعل من هذا العالم "الفظيع" الذي ينتمي إليه عملا فنيا، ينقل فظاعته بلغته الفنية والجمالية، ويترك للقارئ فرصة ومساحة إبداعية لإعادة إنتاج خطابا موازيا للخطاب الإبداعي الأول يمنح له روحا جديدة بتأويلات وقراءات عديدة، يستنبط المخبوء، يكتشف المضمر ويستنطق المسكوت عنه.

تعد رواية "الحي السفلي" لعبد الوهاب بن منصور، من الروايات الجزائرية المعاصرة التي اخترقت عوالم التجريب وتجاوزت المعمارية التقليدية للكتابة السردية، وكانت من الخطابات

الحاضنة لمثل هذا النوع من الأسئلة والقضايا الجوهرية التي أقلقت الإنسان المعاصر من منطلق علاقتها بالثقافة.

ليتسنى لنا مناقشة هذا الموضوع الذي جاء عنوانه كالتالي: ***الهوية وإعادة بناء الذات المتلاشية في رواية الحي السفلي*** الذي يرصد جوهر الهوية والكينونة الذاتية الواعية بالواقع المعاش وفق تمظهرات وتمثلات متنوعة ساهمت في إثراء جمالية الخطاب ودلالته المكثفة ورمزيته المهمشة.

يقودنا ذلك إلى طرح هذه الإشكالية التي تعلن عن كيفية تموقع الهوية والذات في الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة، خاصة الذات الهامشية المقموعة، وفي نفس الوقت محاولة الخطاب الروائي من إعادة إحياء القيمة لهذه الذات المتلاشية والمتشظية.

تدفعنا هذه الإشكالية لطرح عدة أسئلة جوهرية:

_ما مفهوم الهوية و الذات ؟

_ أين تتجلى تمظهرات الهوية المقصية والذات المقموعة في الرواية؟

_ما علاقة الرواية الجزائرية المعاصرة بثنائية المركز والهامش؟

_إلى أي مدى وفّق الروائي "عبد الوهاب *بن منصور*" في إحياء الهوية وإعادة بناء الذات المتلاشية؟

إنّ من الدوافع التي أثارت فينا لاختيار هذا الموضوع تتمثل في:

❖ **أسباب ذاتية:**

_ الفضول في التعمق في مفهوم الهوية والذات.

_إسقاط المتن الروائي الذي كان فيه وباء " الكوليرا" التيمة الطاغية في النص وتماثلها لما عاشه العالم فترة "وباء الكورونا" بداية2019.

❖ **أسباب موضوعية:**

_محاولة الكشف عن المسكوت عنه في الرواية والبحث عن المضمر.

_البحث عن القيمة الثقافية لقضية الهوية والذات المهمشة.

_قلّة الدراسات المهتمة بإعادة إحياء وبناء الذات المتلاشية.

وهو الهدف الذي تسعى إليه هذه الدراسة، للتعمق في ماهية الذات المقموعة وإعادة بناءها وتكوينها كقيمة جوهرية في تعزيز الانتماء الهوياتي عندها، كما كان لنا تسليط الضوء على المكان المهمش في الفضاء الروائي وتفكيك رمزيته الدلالية وعلاقته بالذات الإنسانية المقموعة.

اعتمدنا في ذلك على مقولات النقد الثقافي التي وجدناها الأنسب للدراسة، كما استعنّا بقراءة سيميائية ثقافية لغلاف الرواية وتشفير دلالات الواجهة الخارجية للمدونة.

من الدراسات السابقة التي أولت الاهتمام بهذا الخطاب الروائي نجد:

- *لونيس بن علي*: (بمقال في مجلة الوصل الاليكترونية) بعنوان "سجل سياسي لانتحار بطل كفكاوي".حيث ركز أكثر على البعد السياسي عبر نقده "فترة تاريخية سياسية" معبرا عن علاقة الرواية بالتاريخ والذاكرة.
- *نسيمة بزطوط وبرابز سهام*:(مذكرة الماستر 2022)بعنوان"الهامشية في رواية الحي السفلي".اهتمت الدراسة في إظهار ملامح وواقع التهميش في الرواية.

- *عبد الله أوغرب*:(مقال نقدي لمجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية2022) بعنوان "الأبعاد الوبائية في رواية الحي السفلي" حيث ركز على تقديم أبعاد غير مألوفة لوباء الكوليرا الذي تجاوز الحدود المرضية في الرواية.

اعتمدنا في رحلة بحثنا هذا على عدة مصادر ومراجع أهمها رواية الحي السفلي.

- ✓ **مارتن هايدجير**: الفلسفة، الهوية والذات.
- ✓ **فتحي التريكي**: الهوية ورهاناتها.
- ✓ **ماري مادلين داقي**: معرفة الذات.
- ✓ **هويدا صالح**: الهامش الاجتماعي في الأدب.
- ✓ **غاستون باشلار**: جمالية المكان.
- ✓ **من المجلات نذكر**: تبين، المخبر في اللغة والأدب الجزائري...إلخ

جاءت خطة البحث على الشكل التالي: وسمنا العمل بمدخل والمعنون " الرواية الجزائرية المعاصرة واحتضان الهامش"، والذي تطرقنا فيه إلى التعريف بالرواية العربية والجزائرية المعاصرة وأسباب ودوافع ظهورها، كما كانت لنا وقفة عن دور القارئ/المتلقي في إنتاج عدّة قراءات للخطاب الإبداعي.

الفصل الأول جاء بعنوان "تمظهرات الهوية والذات في الرواية الجزائرية المعاصرة" أين استكشفنا مفهومي الهوية/الذات من عدة زوايا، أما الفصل الثاني هو (دراسة تطبيقية) بعنوان "تجليات الهوية والذات في رواية الحي السفلي" تناولنا فيه قراءة ثقافية لغلاف المدونة، ثم عرجنا إلى إظهار تجليات التهميش وإعادة الاعتبار للذات من خلال التوقف على ثنائية الهامش/المركز، كما بينا دلالات المكان المهمش في الرواية وخاتمة حوصلة للنتائج المتوصل إليها.

مقدمة.....

لا ننفي أننا لم تواجهنا صعوبات وعقبات لكننا استسلمنا لمتعة البحث والرحلة التي خضناها بين ثنايا الحروف والكتب التي أضافت لنا زادا معرفيا على مفهومي(الهوية/الذات) ومع هذا الإنجاز سنحت لنا الفرصة للتعمق فيهما، ومساهمة منّا لإنتاج عمل بسيط ومتواضع رسمنا فيه بصمتنا البحثية وشغفنا المعرفي وطموحنا العلمي.

وذلك بمرافقة علمية وتوجيهية من طرف الدكتور المشرف ***"عدنان فوضيل"*** الذي قدم لنا كلّ الدعم وله منا كل الشكر والامتنان.

بجاية في 2023/06/04

مدخل

الرواية الجزائرية المعاصرة واحتضان الهامش

مدخل:

خرجت الرواية من باب المتعة التي يتلقاها القارئ بين صفحاتها وقصصها الخيالية الرومانسية، الواقعية وغيرها من المتون التي ينتظر منها خرق الحدود الزمكانية، والتحليق بين ثنايا الحروف والسطور.

فجأة دون سابق إنذار، تتحول المتعة إلى قلق فكري ينتاب القارئ/المتلقي من الوهلة الأولى من اجتيازه عتبة النص الروائي.الذي لم يعد بنية"ثابتة"محددة الزمن والحدث، بل تحول النص إلى بنية" معقدة و مركبة"بلغة عميقة التأويل يقف أمامها القارئ تائها،باحثا ومفككا لما وراء المعاني، مستحضرا التاريخ لفهم حاضره الراهن، مستشرفا لما يجب أن يكون لتقديم قراءة نقدية جديدة وإعادة إنتاج نص موازي للنص الابداعي الأول، امتثالا لمقولة *(رولان بارت)* بموت المؤلف، لإعلان عن ميلاد القارئ النموذجي الذي تدعو إليه"نظرية التلقي" نهاية الستينات من القرن الماضي التي منحت مساحة إبداعية للركن الثالث من أركان الظاهرة الأدبية المتمثل في القارئ/المتلقي.

وإن اختلفت وجهات النظر بين روادها حول هذا الأخير ف*(روبرت هانس ياوس)* يؤمن بفكرة القارئ الضمني المتخيل الذي يرافق المؤلف عملية الخلق الفني، أما *(ولفغانغ آيزر)* فيؤمن بالوجود الحقيقي للقارئ الذي يمارس"فعل القراءة"، ولم يمنعهم اختلاف رؤياهم النقدية من الانتصار للقارئ الذي يشارك في إنتاج قراءات وتأويلات عديدة وخلق علاقة تفاعلية بين النص و المتلقي.

إن يظهر في ما سبق عرضه أعلاه تركيزنا على القارئ كعنصر أخير من العملية الإبداعية، ليس إلا إيماناً منّا أن لا وجود لنص أو خطاب إبداعي دون وجود قارئ متلقي يتلق تلك الرسالة الفنية؛ فالنص يستمد وجوده الحقيقي بتفاعل القارئ معه لتنشأ علاقة جدلية تكاملية بين النص/القارئ والقارئ/النص فلا وجود للأول دون الثاني و هذا الأخير –القارئ–

مرهون بوجود الأول.وأصبح المؤلف لا يقدم نصا محكما متماسكا في بنياته الداخلية بقدر ما يقدم بنى وشذرات وألغاز متفرقة ومفتوحة يتطلب من القارئ تفكيكها وهدمها ثم إعادة بنائها و تركيبها لإنتاج نصا جديدا.و بهذا شكلت نظرية التلقي والتأويل ثورة عارمة في الدراسات الأدبية والمقاربات النقدية المعاصرة.

إنّ التطوّر الذي عرفته "القراءة" كعملية إنتاجية ثقافية بالدرجة الأولى لم تكن بمعزل عن التطورات التي شاهدته الرواية العربية المعاصرة، حيث عرف الخطاب الروائي حركة تطور وتحوّل في العقود الأخيرة فأصبحت الرواية المنافس الأول للشعر الذي كان "ديوان العرب" لتتصدر الرواية "عنوان الأدب".

إن الرواية فن من الفنون النثرية الحديثة و المعاصرة التي عرفت انتشارا واسعا في الساحة الأدبية العربية والوطنية بمختلف توجهاتها و أساليبها وتقنياتها الجديدة التي شكلت قطيعة بين الرواية الواقعية الكلاسيكية وبين ما وصلت إليه اليوم من تجديد شكلا ومضمونا وما يطلق عليه *بالرواية التجريبية* أو كما يعرفها(*إدوارد خراط*)*بـ الحساسية الجديدة*.التي رافقت حساسية الراهن من تغير في المشهد السياسي والاقتصادي والثقافي للوطن العربي خاصة بعد انهزام ونكسة العرب في *حزيران 1967* وفشل الأنظمة الاقتصادية من تحقيق الرفاهية الاجتماعية وظهور هيمنة الأنظمة السياسية الفاسدة في هرم السلطة. ومع هذه التحولات التي شهدها العالم العربي دفعت بالمثقف والمبدع العربي من تغيير نظرته لهذا الواقع الغامض مما استدعى عليه خلق وإبداع شكل روائي يواكب هذه التغيرات الحاصلة في المشهد الثقافي المعاصر.

برز مصطلح "الرواية التجريبية" كمصطلح أدبي ونقدي عرفته الكتابة الإبداعية الما بعد الحداثية التي خرجت عن المألوف والسائد في الكتابة الفنية التقليدية والتوغل في عوالم التجريب. فالتجريب ظاهرة وتجربة كتابية متميزة في خرق وتجاوز الموجود وجعل المألوف غريبا يثير السؤال ويحفز الوعي ويحقق الجمالية الفنية.

تنطلق الرواية الجديدة/التجريبية من نظرية الخلق التي تؤمن بأن الأدب عالم تخلقه الذات الكاتبة بفكرها الإيديولوجي ووعيها الثقافي، عكس نظيرتها الرواية الكلاسيكية التي تأخذ من الواقع مرآة انعكاسية تحاكي العالم كما هو دون إبداع أو تحليل وتمحيص لظواهره وقضياه العامة، وهذا ما سعت إليه الرواية التجريبية من الابتعاد عن اللغة الواصفة والاهتمام بتقنية السرد من أجل خرق أفق توقع القارئ تدفع به نحو تخييل النص.

إذا كانت الرواية الواقعية التقليدية تعتمد على التسلسل الكرونولوجي للأحداث، فإنه العنصر الغامض والمعقد في الرواية المعاصرة التي تخلت عن الخطية الزمنية المستقيمة و تبنيها تقنية الاسترجاع أو "الفلاش باك" وهي ارتداد الروائي إلى الماضي في سرد الأحداث و التلاعب بين زمني الماضي والحاضر–مثل رواية الحي السفلي التي نحن بصدد دراستها– كما يمكن القول أنه لا يتحقق ذلك التلاعب دون توظيف اللغة الرمزية ذات حمولة دلالية إيحائية بعيدة عن التصريح المباشر.

لم تكن الرواية الجزائرية بمعزل عن تطور الرواية العربية المعاصرة، فقد خاضت غمار التجريب في خطابها الروائي من خلال التخلي عن التوجه الاشتراكي الواقعي الطاغي فترة السبعينات كروايات *عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، رشيد بوجدرة، واسني الأعرج وأحلام مستغانمي*. الذين تفاعلوا مع محيطهم الاجتماعي والإنساني ونقلوا الواقع بخطية زمنية التي حافظت فيها عن روح الشخصية "البطل" وبعد التحولات السياسية والاجتماعية التي شاهدتها الجزائر فترة التسعينات التي ولدت"رواية الأزمة" أين تناولت فيها أحداث العشرية السوداء.

بالتالي شهدت الرواية الجزائرية تطورا وتحوّلا في مسارها الخطابي باستراتيجيات وآليات تجريبية جديدة دون الانفلات عن هويته الجغرافية وسمته المحلية وانتماء متونه إلى الذات الاجتماعية والفردية للشخصية والكينونة الوطنية التي تقع على هامش الحياة.

إنّ هذه النقلة والوثبة الجديدة في عالم الإبداع والكتابة الروائية المعاصرة مسجلة حضورها في عدة مجالات وميادين وانشغالها بالقضايا الإنسانية والمصيرية التي أقلقت الإنسان العربي والتي توغلت في الحديث عن المناطق المحرمة والمسكوت عنها (الدين/السياسة/الجنس) وما تحمله من مضمرات خفية.

سبق وأن ذكرنا أن القراءة النقدية هي العملية الملازمة لأي عمل إبداعي، فشهدت الساحة النقدية والأدبية المعاصرة ظهور "النقد الثقافي" كنقد جديد يتعامل مع الخطاب الروائي الما بعد الكولونيالي الذي ينتج عن أقلام إبداعية مهمشة من البلدان المستعمرة كآسيا وإفريقيا التي استقلت من الاستعمار الأوربي، فتناولت موضوعات وتيمات ثقافية تسمح للمؤوّل الانغماس في دهاليز الخطاب ورصد مدلولاته المضمرة ومعانيه المكثفة.

وهو ما طرحه الناقد الفلسطيني*(ادوارد سعيد)* في كتابه الاستشراق ودعوته إلى استبدال القراءة الزمنية/التاريخية للأعمال الأدبية والانتقال إلى التعامل*'بالقراءة الدنيوية'* بمعنى تفاعل المؤوّل مع محيطه وسياقه الاجتماعي، السياسي والثقافي الذي يعيش فيه كانطلاقة مركزية لاستكشاف المخبوء النصي، واستنباط المفاهيم الهامشية المتغلغلة فيه واستكناه الأنساق الثقافية المضمرة التي دعا إليها *(عبد الله الغذامي)* في كتابه 'النقد الثقافي في الثقافية العربية' كخطوة جريئة لتجاوز النص كنسيج لغوي بلاغي، والاهتمام به كخطاب ذو قيمة ثقافية.

وقد شكلت *'الهوية'* من أهم القضايا الهامشية التي تحرك فيها النقد الثقافي بصفتها تيمة سردية للتعمق في العلاقة الرابطة بين الهوية والثقافة وعلاقة الهوية بالخطاب الروائي المعاصر.

الفصل الأوّل

تمظهرات الهوية والذات في الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة

تعتبر الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة من التجارب السردية التي حاولت الارتقاء عبر الالتفات إلى كل ما يمت بِصلةٍ إلى مفهوم الثقافة، ولعل مصطلحي الهوية والذات هي من بين المصطلحات التي استدعتها الرواية الجزائرية المعاصرة بطرق متعددة من أجل إيضاح الأبعاد الثقافية للموضوعات التي تطرحها الرواية المعاصرة.

1-مفهـــوم الـــهويـة:

لازالت قضية "الهُـويـة" من القضايا الإنسانيةَ، التي حضت باهتمام واسع في الدراسات الأكاديمية والمقاربات العلمية والنقدية، وهي من أكثر المفاهيم تعقيدا في الضبط والتحديد، لتعدد وتشعب مجالات و سياقات توظيفها، كالهُوية التاريخية، الهُوية الثقافية، الهُوية الاجتماعية، الهُوية الشخصية و الأدبية.

يعود الأصل اللغوي للفظة "الهُوية" في اللغة العربية حسب معجم لسان العرب(لابن منظور) إلى " **هَوى يهوى هوَة، والهُوية تصغير هَوَة، و قيل الهوية بئر بعيدة** أي الحفرة **بعيدة القعر**"[1] دلالة لبُعد و عمق الشيء، كالبئر العميق، كما تُبين جوهر الشيء و حقيقته مثلما جاء في معجم الوسيط على أنها "**حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره**"[2]، و هو ما يعني البصمة التي ينفرد بها الإنسان عن الأخر، و التي تمثل ماهية هويته.

لقد عرّفت (فضيلة شبا بحة) " **الهُوية في اللغة العربية على أنها مصدر صناعي مركب من (هُو) ضمير للمفرد الغائب المعرف بأداة التعريف (ال) و من اللاصقة المتمثلة في**

---

[1] –انظر ابن منظور، لسان العرب، ج2، دار إحياء التراث، بيروت، (د ط)ص 170

2– شوقي ضيف و آخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمجتمعات و إحياء التراث، مصر، ط4، 2004ص 998.

(الياء) المشددة و علامة التأنيث (التاء) ضمير الإشارة للغائب بمعنى ذاته"[1] ؛ فهي فككت اللفظة لغويا، نحويا وصرفيا وكذا صنّفت مصدره على أنه مركب صناعي، وهي كلمة اختصارا لعدة معاني.

الهوية (بفتح الهاء)هي تلك البيانات الشخصية التي تُقدمها الجهات الرّسمية لإثبات الانتماء الوطني "**بطاقة يَثبُت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية"**[2]، فانه يُطلب منا رؤية بطاقة الهوية الوطنية و ليس الهوية(بضم الهاء). و يُشير ذلك للأوراق الثبوتية الإدارية التي تُبين الاسم، الجنسية، المهنة، التعليم، البصمة و التوقيع وغيرها من المعلومات التي لا يشارك بعضها مع الآخرين، فهي ملكية خاصة له فقط؛ أي بالمعنى اللّغوي "الكُنية" النَكوة وهو اسم يُطلق على الشخص تعظيما له و إظهارا لنسبه، بها يُميّز عن مجهولي النسب مثلا. وإذا تعرّضت بطاقته للضياع قد يُشكّل خطرا على صاحبها.

1-1 الهوية انثروبولوجيا

"الهوية" نسيج من خطوط عدّة، كما أنّ كل خيط يمكن أن يشكل نسيجا خاصا به. و هذا ما اهتمّت به الدراسات الانثروبولوجية، التي تدرس الإنسان ككائن ذو ماضٍ و حاضر يستشرف المستقبل بكل خصوصياته، وهذا ما يشكل هوية الإنسان ،"**فالهوية هي التاريخ و التطابق مع التاريخ و معرفة في أي مرحلة من التاريخ تعيش الأمة"**[3] ، فكل فترة زمنية تحدد شخصية الفرد، و مدى تفاعله مع الراهن المعاش، و كيف يُخطط لما يجب أن يكون عليه مستقلاً، بانتهاج " خارطة طريق" تُحدّد مساره، "**فهي أحد أشكال العادة أو نمط حياة و منظومة قيم**

---

[1] – فضيلة شبابحة، تطور مفهوم الهوية في الفكر السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد8، العدد 2، 2021ص119.

[2] – شوقي ضيف، المرجع السابق، ن ص.

[3] – حسين حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص50.

أو مرجعية ذات شفرة أخلاقية"[1] تمثل الأساليب و السلوكيات الأخلاقية و الروتينية التي يقوم بها الإنسان في حياته النمطية التي تحدد هويّته .

1-2فـــلســـفيـــا:

إن اهتمام الفلسفة بقضية "الهوية" لم يتغيّر منذ **(أفلاطون)** إلى **(رونيه ديكارت)** ، وغيرهم من الفلاسفة الذّين يُقّرون على أن الهوية هي مطابقة الشيء مع نفسه بمرادفات عدّة كالوجود، التطابق، التماثل، الذات ، و غيرها .

وهذا ما نجده عند الفيلسوف الألماني**(مارتن هايدجر)** يقول "**أن الهوية تُشكل خاصية أساس لكينونة الموجود"**[2] . فان أي وجود في العالم سواء كان إنسانا أو فكرًا، إلا وله ماهيّته تؤصّل لكَينونِيّتيه الوجوديّة، التي بيّنها (الكوجيتو الديكارتي) "أنا أفكر إذن أنا موجود"، فكلّما فكّر الإنسان شعر بهويته ووجوده، واستطعم شعور ولذّة الافتخار بالذّات. فكل فكرة تنتج عن شخص ما فهي دليل على أنه موجود ويساهم في إحياء وجوده على غرار من حوله.

نخلص أن الهوية بالمعنى العام هي "**صفة لما يبقى هُو هُو، رغم مرور الزمن أو لما هو متماثل تماثلا تاما مع شيء أخر"**[3].فهي صفة باقية و مرافقة للشخص عبر الزمن، وهو ما أكّده (**تشارلز تايلور**) بأن " **الهوية الحديثة تمتاز بالتركيز على صوتها الداخلي و قدرتها على الأصالة، القُدرة على التفكير و التعبير عن الذات بطريقة مستقلّة"**[4] الهوية ذاتية تمنح

---

[1] – بونت وايزار، معجم الانثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للترجمة والتوزيع، "مجد"، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2006 ، ص990.

[2] – مارتن هايديجر، الفلسفة، الهوية و الذات، تر: محمد مزيان، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015 ، ص31.

[3] – محمد منادي ادريسي، سؤال الهوية عند جون لوك من الجدال اللاهوتي إلى النقاش العملي، مجلة تبيّن، العدد 34، المجلد 9، خريف 2020، ص 146.

[4] – لجين محمد نور السوادي، سياسات الهوية الموسوعة السياسية، الموقع الالكتروني:

http://political Encyclopédie.org تاريخ الدخول /26/2023/02 تاريخ الإنزال 30.10.2021 .

الشخص الحرية في الوجود و التفكير فهي مستقلة عن الذوات الأخرى (الآخر)، بهذا يشير مصطلح الهوية لعدة أسئلة فلسفية في مناظرات براغماتية حول الذات و إحساس الفرد بذاته و تفكيره.

1-3 نـــفـســـيـــا:

لو وقفنا لبرهة و طرحنا على أنفسنا سؤال "من أكون؟"، "من أنا؟" في البحث عن هوية الأنـا "**فإنها إحساس الذات، تنشأ حينما يبدأ الطفل التميز عن والديه و عائلته، و يأخذ موقعه في المجتمع، فهي تشير إلى شعور شخص ما بمن هو و ما هي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له**"[1] نستنتج من هذا، أن الإنسان يكتسب هويته الشخصية من محيطه العائلي ثم بعد خروجه إلى الفضاء الخارجي تتحول إلى ذات اجتماعية متفاعلة مع غيره .

بالتالي يحدد أموره المهمة، التي تبرز وعيه وانتمائه الوجودي و تعامله مع هذا العالم الذي يتسم بالتغيير و التقلبات التي تستدعي الخوف على الكيان الداخلي للفرد من ضياع هويته النقية إذن : " **الهوية و الهويات هي ناتج للتحديات و متولدة عن الحاجة للدفاع عن الذات ضد أي عنصر مهدد**"[2].

منه فان رفض الظلم والاضطهاد تولد طاقة المقاومة، و المطالبة بالحق كسبيل لحماية الذات من خطر "الآخر" و سياسته الفوقية، لذا نستنتج أن "الهوية" صورة ذاتية يتميز بها الشخص عن غيره و تجعله منفردا بذاته، يكسب مقومات أساسية تمكنه من فرض مكانته و كيانه في الجماعة التي ينتمي إليها.

---

[1] – هارلميس و هوليبورن، تره حاتم حميد محسن، سوسيولوجيا الثقافة و الهوية، دار كيوان للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2010، ص 13.

[2] – عبد الله الغذامي، القبيلة و القبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 2009، ص 60.

1-4 اجتـمـــاعـيـا:

لاشك أن الإنسان مجتمعي بطبعه فطريا، فهو ابن بيئته يؤثر و يتأثر بواقعه الاجتماعي "**فهوية الفرد من الناس لا تنفك عن هوية الجماعة التي ينتمي إليها**"[1] ،فهو عضو من أعضاء المجتمع الذي تربطه علاقات و معاملات طِبقا لأحكام الزواج و الوراثة، والتي تتشكل ضِمنها منظومة أفكاره و سلوكا ته منذ الولادة، يَصعب عليه فكّ تعلّقه و حنينه أثناء البعد و الغربة عن جذوره الثقافية التي تظلّ تذكره بذاته، كما يشبه (***علي حرب***) الهوية بالعمل المسرحي من حيث تعدد الأصوات، الشخوص و الأدوار و اللغات.

و نحن الأفراد أشبه بممثلين نُؤدي و نسير وفق هذه النصوص الموروثة لا شعوريا التي تشرّبنـــا قيمـها، "**فشعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم و المشاعر و الاتجاهات، فالهوية بهذا المعنى حقيقية فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة و عملية التنشئة الاجتماعية**"[2]وبالتالي الفرد اجتماعي متفاعل مع محيطه و غير منعزل عن نسقه المجتمعي.

لهذا لا يمكن فصل هويته الفردية عن هوية الجماعة التي يتعامل و يتشارك خصوصيتها و يمكن القول أن " **الهوية هي كيفية تعريف الذات،و لكن لا يمكن تعريف الذات في فراغ : بل يجب أن يُنسب الإنسان نفسه لما يحيط به**"[3] فلا وجود للذات الإنسانية خارج إطار محيط اجتماعي أو سياسي يمثل انتماءُه لمجتمع ما أو دولة معينة، أو رقعة جغرافية ما، فالهوية صورة الفرد عن موقعه و عن علاقاته، و هذا ما يُكوّنُ انتمائه لجماعة سياسية، اقتصادية،

---

[1] –علي حرب، الهوية سيرة فكرية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط2، 2008، ص47.

[2]– خير الدين الصوابني، الهوية في التفكير العربي الحديث، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية 1992_1993، ص 2 .

[3]– شريف كناعنة ، دراسات في الثقافة ز التراث و الهوية، فلسطين،2011، ص394

ثقافية أو دينية، "**فالانتماء هو ارتباط الفرد بجماعته حيث يرغب الفرد في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها و يُوَّحد نفسه بها كالأسرة أو النادي أو الشركة**"[1]

هي قناعات فردية تدفع بالفرد إلى الانخراط في جماعات ذات مركزية و سلطة عظمى كالأسـرة أو طائفة مـا، ليعزز مكانته الاجتماعية و الشعور بفخر الانتماء و الانتساب إليها و التي يُكون منها هويتــه الثقـافيـة.

1-5 سـياسيـــــا

كثيرا ما يكتسي مفهوم "الهوية" منزلة مركزية في الساحة السياسية لما تطرحه من تجاذبات و صراعات هوياتية، "**فالـهوية السياسية هي هوية ذات طابع إيديولوجي، تستند إلي التعدد الحزبي السياسي، كأحزاب اليمين و اليسار، بحيث يختار الأفراد الأحزاب التي يرون أنها تحقق قيّمهم و طموحاتهم و تحسن مستواهم المعيشي** "[2] .

إنّ انخراط المواطنين في عملية اختيار الأحزاب، وانتخاب الحزب السياسي الذي يؤمنون بأفكاره الإيديولوجية التي تخدم مطالبهم السياسية والاجتماعية، التي تسعى لتحقيق الاستقرار داخل البلاد، وإحساس الشعوب بالمواطنة والإخلاص لأوطانهم.

وهذا من خلال احترام اختلاف الرّؤى و التوجهات السياسية داخل الدولة، والعمل على تَسبيق أولوية الوطن و المصلحة العامة على المصالح الحزبية، و تحضى بذلك مكانة عالية في السياسات الخارجية، و تُظهر هويتها خارج الحدود الجغرافية العالمية، القارية و الإقليمية " **كالهويـة القُطرية المغاربية مثلا، و نظيرتها المشرقية، هي مجموعة من الهويـات الوطنية التي تلتقي في كثيرٍ من السّمات و الخصوصيات الثقافية كاللهجات المحلية و العادات و**

---

[1] – احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت 1978، ص 16.

[2]– عبد الله الجسمي، الهوية مطلب الكرامة وسياسات الضغينة لفرانسيس فوكوياما، مجلة تبيّن، العدد 41، مجلد11، صيف 2022، ص36.

التقاليد، كما تجمعها بقعة جغرافية متشابهة"[1]؛ فإن الانتماء لهوية وطن هو إثبات جنسيتك الوطنية.

و علاوة على ذلك تتشارك كل هوية وطنية في خصوصياتها و عاداتها و قيّمها مع الإقليم و القطر المحيط بالوطن وهو ما يسمى بالـهوية القُطرية (كالمغرب الكبير)، و التوسع إلي تشكيل الهوية القومية(القومية العربية) التي تتشابه مقوّماتها في اللّغة، التاريخ، الدّين والثقافة.

مع وجود نقاط اشتراك بين دولة أو أكثر هذا لا يَنفي ألاَّ تتميّز كل واحدة أو سياسة عن أخرى. و هذا ما دفع(**عرفات الرميمة**) إلى تقليص الهوية في السؤال التالي: " **من أنت في الحيـاة و ماذا تريـد منها فردا أو جمـاعة ؟**"[2]، الظاهر من طبيعة السؤال تركيزه على الأخر و غايته من الأنـا .

كما نُشير إلى أنّه ليس كل دولة تحمي هويتها و تسعى لإبرازها بِمنطقِها الايجابي، و الاعتزاز بأصوليتها من المحيط إلى الخليج كما يقال، بل من الدول من تعتقد أنّ الهوّية تُشكل خطرا على نفوذها السلطوي و ممارساتها السياسية، و من المحتمل الدخول في متاهات الصراعات و زرع الفتن كما يصفها(***علي حرب***) "**بلد تصطرع فيه الهويات وفي وقت آلت فيه العصبية إلي تعصب و صارت الحجّة لمن غلب** "[3]، هي بالأحرى صراعات و نزاعات هوّياتية؛ تحاول كل طائفة أو فئة الاعتراف بهويّتها و عدم إقصاء و إلغاء وجودها و تاريخها من

---

[1] –سعيدة بن بوزة، الهوية و الاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، دار نينوي، سوريا دمشق،ط1، 2016، ص29.

[2] –عرفات عبد الخيّير الرميمة، معرفة الهوية و إعادة بناء الذات عند السيد حسين الحوثي في مشروعه القرآني،في مجلة جامعة البيضاء، جامعة صنعاء، المجلد4، العدد1، ابريل 2022، ص122.

[3] –علي حرب، خطاب الهوية سيرة فكرية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2008، ص15.

المنظومة القانونية للبلاد، دون خرقٍ للسّلم و الأمن الوطني. وتجنّب الخوض في الهـويات القـاتلة بتعبير (***أميــن معلــوف***).

بـالتالي، فـهُويّة "الأنـا" تختلف عن "الأنـت"، وإذا تحدّثنا عن هوية الجماعة فإنّها حتْما هوية "النحن" تختلف و تتميّز أيضا عن هوية "الهُم / الأنتم" .

إنّ الخوض في الحديث عن مسألة "الهويـة"، من الأحاديث الأكثر متاهة في تناولها بحيث سَالت الكثير من الحبر و كتبت الكثير من الأقلام عن الهوية كمصطلح أو قضية شغلت الفكر والفن منذ الأزل.

حـاولنا الوقوف على المصطلح بأبعاده وسياقاته المختلفة، مُؤمنين أنّ الهويّة مجالا مُركبا ومرنا وأكثر ديناميكية، فمن الصعوبة الإلمام به إلماما كُليا.

تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات، و ربّما أوّلها التي يطرحها كل شخصٍ منّا على نفسه **:هل الأنـا في حدّ ذاتها تَحمل هويّة تُميّزها عن أقرانها؟ أم أنّـها تَكسب هُويّتهـا من غيرهــا؟**

من المُلاحظ أن [الهوية] جدلية بين الذات / الغير، الأنا / الأخر، و الجزء/ الكل. هي ثنائيات متناقضة تتصدّر المشهد الثقافي بالدرجة الأولى، فبعد اطّلاعنا على الأصل اللّغوي للمصطلح تبيّن أنّه من الضروري النطق الصحيح للّفظة بين الضمّ والفتح، فالهوية (بفتح الهاء) تختلف عن الهوية (بضم الهاء) فالأولى بمعنى السقوط والهلاك، أما الثانية دلالة لحقيقة وجوهر الشيء.

إنّ لكل أصل أصول، ولكل فرع فروع، ولكل موجود وجود، و هذا ما ينطبق على الشخص كوجود إنساني، وذات عاقلة واعية بهويتها "هي" التي صنعتها بمنطقها، بفكرها، بمفهومها، و بِبصمتها التي تميزها عن الذات الأخرى و السِّمات التي تختلف عن الغير لـتَخلق لنفسها

كينونة وجودها كما عبر عنها الفيلسوف الألماني (***مارتن هايديجر***)، و تصنع لنفسها هوية ذاتية و فردية، تتحدد من خلال تناقضها أو ربما حتى تكاملها مع الهوية الأخرى.

وهذا ما يوصلنا إلى الحديث عن الهوية الجماعية، التي من المستحيل أن يعيش الإنسان كذات، ذو هوية شخصية دون الانخراط في الذات الجماعية التي يشكل منها هويته الوطنية، القومية، الثقافية، وغيرها من الانتماءات التي يختارها بملء إرادته و لا شعوريا و هذا ما وجدناه عند الكاتب الفرنسي اللبناني (***أمين معلوف***) الذي جعل من شخصه مثالا لتعدد الهويات و الانتماءات.

يقول: "**لي انتماءات مشتركة مع كل كائن حي، و لكن لا يوجد كائن في الكون يشاطرني كل انتماءاتي [...] كل شخص دون استثناء يتمتع بهوية مركبة**"[1] ؛ فالانتماءات الطائفية بين السُّنية والشيعية، الدينية بين الإسلامية و المسيحية، و القومية بين العربية و الغربية، و الوطنية بين الجزائرية و الأجنبية . ممّا يشكل الشخص انتماءه وولاءه لفئة دون غيرها واكتساب هوّيتها حسب محيط سياقه الاجتماعي أو الفكري الاديولوجي، الذي يتعامل ويتفاعل معه.

و هذا دلالة منطقية و حاسمة أنّ "الهُوية" ظاهرة سياقية و دينامكية، فهي في حركة و تغيّر دائم، يتلوّن الشخص بألوانها و يتّصف بصفاتها ويُمارس سلوكياتها، فـ"**الهوية و الانتماء هما عمليتان ديناميكيتان [...] وهي قابلة للتغيير تَبرز أحيانا و قد تَخبو أحيانا أخرى، ممّا يُؤشّر إلى أنّ الهوية يُمكن أن تتغير بحسب السياق السياسي . الاجتماعي**"[2]؛ فإذا كان الإنسان يعيش في عالم غير مطلق تَحكمه النّسبية، فحتما تتّسم الهوية بالتغيير و التطوّر عبر الزمن لتُمثّل إجابةً للسؤال **هل الهوية ثابتة أم متغيّرة؟**.

---

[1] – أمين معلوف، الهويات القاتلة: قراءات في الانتماء و العولمة، تر:نبيل محسن، دار ورد، دمشق، 1999،ص22.

[2] –الطاهر لبيب، صورة الأخر العربي ناظرا و منظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1999، ص701.

فيُمكن أن تكون الهوية فردية سيكولوجية وجماعية سوسيولوجية في الوقت نفسه. ومن الممكن أيضا أن تكون هوية ذاتية ومركبة معقّدة في آن واحد.

نستخلص مما سبق عرضه، بوُجوب الاعتراف بحقّ الاختلاف، واحترام الذات الهوياتية لِترسيم الهوية وليس السقوط مِن الهَاوية.

1 _ الهويـة في الدراسات الثقافية

كثيرا ما يقترن مفهوم الهوية بالثقافة، و كثيرا ما تحمل الثقافة روح الهوية، لتشكل حقلا معرفيا و علميا يهتم بهذا المجال المرن وهو ما يعرف بالدراسات الثقافية؛ التي يتداخل فيها السوسيولوجي و الانثروبولوجي والإيديولوجي وغيرها من الميادين، للتعمّق في الهوية الثقافية، وإذا وصفناها بالثقافية ، فمن الضروري الوقوف على مفهوم "الثقافة".

1_2 : الـــثقافـــة :

ينظر ***(تيري ايغلتن)*** إلى الثقافة على أنها "**الطريقة الكلية في عيش الحياة**" فهي نمط حياة الشعب في المأكل، المشرب، الملبس و المسكن، وتلك النشاطات و الممارسات التي يقوم بها الفرد في حياته اليومية بشكل واعٍ و أخرى دون إدراك لها، فهي أفعال تلقائية، دون التدقيق منه حتى في أسباب قيامه بها .

و هو ما يُشكّل اللاوعي الاجتماعي، يصنع منها الروتين في حياته ، وهذا ما أكده***(مالك بن نبي)*** " **أنّ الثقافة هي مجموعة من الصّفات الخلقيّة و القيم الاجتماعية التي تؤثّر في الفرد منذ ولادته و تصبح لا شعوريا، العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي**

وُلد فيه"[1] فهي أشبه بدستور أو قانون تقوم عليه حياة الأفراد داخل المجتمع منذ الولادة ،فيمتثل لسلوكياته، عاداته، حركاته، أفكاره و معتقداته التي يُؤمن بها ويتفاعل معها لاإراديّا.

وكل مجتمع ثقافته الخاصّة و مبادئه العامة التي تمثل لهويته المتميّزة "**فكل ثقافة لها معنى و قيمة يتناسبان مع المكان و الزمان و الخبرة الإنسانية في مواءمتها مع البيئة"**[2] وهذا دليل على نِسبية الثقافة على مرِّ الأزمنة والأمكنة التي ينتمي إليها الفرد، بالـتالي ينفي فكرة التعصبية و التحيّز لثقافته و اعتقاد أنّ تراثه الثقافي الأفضل دائما و أبدا، دون الاعتراف بالثقافات الأخرى.

2_ 2 : الـهوية الثقافية :

من المصطلحات المركبة التي شاع انتشارها في المجالس الفكرية و الشعبية، فالمُجمل أنّ " **الثقافة هي العنصر الجوهري في تعريف الهوية بما هي انتماء الفرد إلي الجماعة"**[3] فالثقافة والهوية مُتلازمتان في حياة الفرد وكل ما يمكن أن يكسبه في حياته الاجتماعية من عادات وتقاليد وعقائد دينية، لغوية و سلوكية وآداب وفنون يصنع منها هويّته الخاصة.

وبالتـالي "**فالهوية الثقافية هي تعبيرا عن كيان معنوي له حياته و حركته الدينامية التي تساعده على أن يتفاعل مع كيانات معنوية أخرى"**[4] فهي الموروثات المادية و اللامادية التي

---

[1] –مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000، ص74.

[2] – عبد العني عمار، سوسيولوجيا الهوية جدلية الوعي و التفكك و إعادة البناء، عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2017،ص66.

[3] – فتحي التريكي، الهوية و رهاناتها، تر: نور الدين السافي و زهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، بيروت تونس، ط1، 2010،ص99.

[4] – عبد العليم محمد إسماعيل، الهوية الثقافية .http//www–aranthropo –com ،تاريخ الاطلاع: 2023/03/10.

تمثل الشخصية الهوياتية لشعب أو فرد ما، تمكّنه من التعرف على:من هو،ومن أين جاء و إلى أين هو ذاهب ؟.

شاعت مقولة "أن التاريخ ذاكرة الشعوب" فلا شعب دون ثقافة و دون هوية "**فالهويات الثقافية تنبثق في أماكن لها تاريخ**"[1] .فمنها تستمد الشعوب خصوصياتها و سيماتها الثقافية التي تتميز و تختلف عن ثقافة الشعوب الأخرى. وعلى خلاف من ذلك يرى الناقد ***(ابن علي لونيس)*** "**أن تثبيت الهوية في هذا الزمن يعني تصنيمها في حين هي "مشروع"غير مكتمل هي ما يُبنى في المستقبل أيضا**"[2]، بهذا يُؤكد أن التاريخ ليس دائما ما يكون المكوّن أو العنصر الأساس الذي تقوم عليه الهوية الثقافية، فلا يمكن أن نُسجنها في قلعة الماضي و الذاكرة، و الاعتقاد أنّ كل ما فات يُمثل الهوية، إنّما هذه الأخيرة في تغيّر مستمر و تحوّل دائم من تاريخ إلى أخر.

فالزمن في تغيّر والأشخاص كذلك، فحتما كل فترة وكل فئة تُكوّن لنفسها هوية خاصة. و الاعتراف بهذا التغيير و التحوّل ، سمة للتعايش الثقافي تجسيدا لمقولة ***(فتحي التريكي)*** "العيش سوياً"، في ظل الاختلاف و التعدد الذي يصنع التنوع الحضاري و الثقافي .وعليه "**فالهوية الثقافية هي الشعور بالانتماء إلى جماعة أو مجتمع له من الخصائص و المميزات**

[1] – جورج لارين، الايدولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، تر: فريال حسن خليفة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط1، 2002، ص268.

[2] – بن علي لونيس، من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك "للروائي عمار لخوص، مجلة تمثلات، ع 1، 2015، ص157.

الثقافية و الاجتماعية التي تميزهم عن بقية الأفراد و المجتمعات"[1] السمة الجوهرية المحددة للانتماء لمجتمع ما، دون إلغاء الأخر.

و الإيمان بأنّ ليس كل اختلاف معاديا "للأنا"، وليس كل تفرد تمرداً، و ضرورة حماية الهوية الثقافية من نظام العولمة " **فالـعولمة نظام يعمل على إفراغ الهوية من كل محتوى، وتدفع إلى تفتيت الهوية و تشتتها"**[2] بخرق المقدسات و الخصوصيات الداخلية للشعوب دون احترام الحدود الجغرافية لكل دولة.

و محاولة منها إخضاع الشعوب إلى منطق اللاحدود، اللأمة، و اللاهوية و اللاانتماء، و العيش في غربة هوياتية .

بـهذا نستخلص، أن الهويـة الثقـافية هي رمز، سلوك، اعتقاد، أزياء، أعراق، تقاليد و عادات اكتسبها الفرد منذ وُلادته، و هي تعبير عن ضميره الجمعي كما أظهرناه مع(***مالك بن نبي)*** خاصة.

[1] – صونية براهمية، الهوية التنظيمية وآليات تفعيلها في المؤسسة، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد27، 2018، ص 195.

[2] – باريك بيكو، سياسة جديدة للهوية المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، تر: حسن محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1،2013 ، ص 10.

الذات بين التلاشي والبناء:

يعد موضوع "الذات" و"تقدير الذات" –خاصة–من أهم الموضوعات التي اهتم بها العلماء و الباحثين في مجال علم النفس الاجتماعي، ويعتبرونها من العوامل الأساسية والمهمة في تشكيل وبناء شخصية الفرد وتكوين هويته الفريدة التي تميزه عن باقي أفراد مجتمعه، فحاول الأدباء والمبدعين الوقوف على "الذات" كتيمة أدبية والتعمق في كينونيتها السردية.

لقد تعدد استعمالات ومفاهيم الذات حسب اختلاف توجهات الدارسين، وقد ورد معنى الذات في معجم "تهذيب اللغة" على أنها جوهر الأشياء وأنها "**الشيء وحقيقته وخاصيته، وتقول العرب: التقيته ذات صباح، ذات يوم ويراد به الوقت مضاف إلى اليوم والصباح، وذات العشاء: أراد ساعة التي فيها العشاء**"[1]وهي لفظة تشير أيضا إلى الزمن وتحديد الوقت.

أما اصطلاحا فيظهر مفهوم الذات كمصطلح بارز في بداية القرن العشرين أين قل الاهتمام بالعقل كمنبع لكل معرفة والتوجه نحو إعادة الاعتبار للذات وتحويل التفكير العقلي المنطقي والميتافيزيقي إلى العناية بالذات والعاطفة "**مع بداية العصر الحديث ولدت الذات بوصفها منبعا أساسيا لكل قيمنا وأفكارنا وحدث ما يسميه ريشارلز تايلر "التحول إلى الذات"**[2] والاهتمام بالجوهر الإنساني وتفعيل حريتها وتحقيق كرامتها وحقوقها والانغماس في بواطن النفس أكثر من الاهتمام بالعالم الخارجي وبالحياة الكونية المادية.

---

[1] –ابي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: ابراهيم الابياري، دار الكاتب العربي، الجزء الخامس عشر،1967 ، ص42.

[2] –رشيد الحاج صالح، لماذا عادت الهويات لتتصدر عالم اليوم؟ نقد تايلر للحداثة و علمانيتها ، مجلة تبين ، العدد41، المجلد11، صيف2022، ص75.

محاولة جريئة لمعرفة الإنسان لنفسه واستكشاف بواطنه الغامضة التي في كل مرة يجهل حقيقة مشاعره وأفكاره، و يسأل ذاته عن مصدر وجوده و"**يستفهم من ذاته عن ذاته، أن يسأل ذاته من هو ومن أين جاء وإلى أين يذهب؟**"[1] وتقوم الذات دور البوصلة التي تحدد اتجاهات وسلوكات الفرد اتجاه نفسه واتجاه غيره والتعامل مع مجتمعه وفق ردود أفعاله وسلوكاته الخارجية التي تكونت عنده في اللاوعي الشخصي.

ولهذا استعصت على الأبحاث والدراسات العلمية على تصوير مفهوم ثابت وموحد عن الذات، لكونهاهيكل ديناميكي مرن يتأثر بدوافع الشخص والوضع الاجتماعي الذي ينتمي إليه في تشكيلها، وبالتالي كل مجال أخذ بتحديد المفهوم حسب زاوية نظره، ومع ذلك "**اجمعوا أن مفهوم الذات هو النواة التي تقوم عليها الشخصية كوحدة مركزية ديناميكية، وأنها المعنى المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسميا وعقليا واجتماعيا في ضوء علاقتنا بالأخرين**"[2]

وهذا دليل أن الذات جوهر للوجود الإنساني ولكل كياناته المختلفة النفسية أو الاجتماعية والعقلية والجسدية، فالذات هي المنبع والمحرك الأساسي لحياة الفرد وهويته الشخصية، وتظهر هوية الذات من خلال وعي الفرد باستقلاليتها وتفردها عن الذوات الأخرى والشعور بالتكامل الداخلي وقبول اختلافه الشكلي أو الجسدي وعاهاته التي يراها "الأخر" محلا للسخرية والتذمر التي تمثل من أسباب تلاشي وتشتت الذات والشعور بالنقص والعجز التي تدفع صاحبها بالانعزال عن الأخرين والفشل في التعامل مع العلاقات الاجتماعية والرغبة في الوحدة والحياد وعدم الانتماء لجماعة أو لفئة ما وفقدان الثقة بالنفس وعدم تقدير الذات واحتقارها والإخفاق

---

[1] –ماري مادلين دقي، معرفة الذات، تر:نسيم نصر، منشورات عويدات ، بيروت ، ط3، 1983، ص19.

[2]–بن صغير كريمة و بومدين سليمان ، مفهوم الذات –مقاربة نفسية–حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد13، ديسمبر 2015، ص34.

في تحقيق الأهداف وتبني نظرة سلبية للأنا اتجاه نفسها واتجاه المجتمع والانحراف وتعاطي المخدرات والانتماء لعالم الإجرام، والرغبة في الموت والانتحار.

وهذا المنحى السلبي للذات له تأثر كبير في اضطراب الحالة الداخلية للشخص وعدم الشعور بالاستقرار والثبات، والشعور بإقصاء وجودها وتهميش كيانها من طرف الأخر الذي يتمتع بالمركزية والكمال الذاتي.

1_الذات نفسيا:

إن مقولة سقراط "اعرف نفسك بنفسك" كان لها الصدى الواسع عند الفلاسفة والمفكرين للتعمق في هذه الذات التي تتراوح مصطلحاتها بين النفس والأنا والماهية والروح، إلى أن استقر مفهومها في مجال علم النفس كعلم يهتم بدراسة السلوك البشري بطريقة علمية ويعرف الذات بتلك الأفكار التي يأخذها الفرد عن نفسه وعن قدراته وأفكاره ومدى إدراكه لها. بمعنى هي الصورة التي نعيها وندركها ونشعر بها اتجاه ذواتنا الشخصية التى تتميز عن الذات الأخرى. ليس فقط إدراك الذات في فترة عمرية محددة إنما تتضمن كذلك تصورات عن الذات مستقبلا.

وقد شكلت دراسات التحليل النفسي الكلينيكي للطبيب النمساوي *(سيغموند فرويد)* ثورة معرفية واستكشافية لبواطن النفس البشرية.، الذات موضوعا للدراسة، وتحليل الشخصية بناء على تقسيمه الجهاز النفسي إلى ثلاث مستويات وهي:

_الهو:هي المنطقة اللاشعورية عند الإنسان وتكمن في الرغبات والغرائز الجنسية التي يعتقد(فرويد)أنها المحرك الأساسي للحياة البشرية وما أطلق عليها (الليبدو).

_الأنا: تمثل منطقة الوعي، التي يحاول صاحبها من كبت الغرائز اللاشعورية التي تحاول الظهور في الأنا.

_**الأنا الأعلى:** تتمثل في سلطة الدين، المجتمع والأخلاق. وأظهر(فرويد)من خلال تحليله أن الذات مرادفة للأنا المرتبطة بين العالمين الداخلي المكبوت وبين العالم الخارجي وهي جوهر الشعور والوعي بالحياة والواقع الذي يعيش فيه وهو ما أكده *(ايغون كون)* أن "**الأنا الإنسانية الحقيقية تمثل الفرد الفاعل الحي وأن حياته تكمن في إبداع فرديته بالنسبة لنفسه ولأخرين**"[1].

فالأنا تمثل ماهية الوعي الإنساني وهي التي تصنع وجوده الاعتقادي وتصوره الكلي عن تعاملاته المتميزة والفريدة عن غيره، فإذا كانت السيكولوجية الداخلية للفرد يشوبها التغير والتحول بين السعادة والفرح وبين التعاسة والحزن وبين القلق والكآبة وغيرها من الحالات النفسية والمزاجية التي تؤثر على هيكل (الأنا/الذات)التي تتحكم فيها ظروف وعوامل مختلفة تدفعها لخلق (أنيات) عديدة.

فنجد الأنا التي تحب وكذلك الأنا التي تكره، وتظهر الأنا الايجابية والأنا السلبية وهذا ما أكدته (مادلين داقي) أنّ "**الإنسان يملك أنيات يستبدل بعضها من البعض الأخر فهناك الأنا التي تحب والأنا التي تكره وهناك الأنا الكريمة والأنا الحاسدة**"[2]، وهي حقيقة الإنسان أنه غير ثابت إنّما هو في حركة ديناميكية فمثلما يتحول جسديا وبيولوجيا يتغير كذلك نفسيا وسيكولوجيا فهو ليس ذلك الشخص منذ عشرين سنة مثلا وكل فترة زمنية تتغير أفكاره وآراءه وتتبدل تصرفاته مما يظهر اختلاف الأنا بين الماضي والراهن، وما يحتمل ظهور أنا جديدة مستقبلا (فأنا)الحاضر فلم تشكل إلا بأفكار واعتقادات(الأنا)الماضية، والراهن يبني (الأنا)المستقبلية وهو بناء تكاملي كل حقبة تشكل أفكار واعتقادات تتحول إلى سلوكات

---

[1]–اغور كون ، البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعي الذات، تر: غسان أرب النصر، دار مصعد للنشر والتوزيع، سورية دمشق، (د.ت) ص22.

[2] – ماري داقي ، معرفة الذات، ص44.

وتصرفات لتشكل هوية خاصة تمثل حقيقة نفسه"**فهوية الذات هي النفس الداخلية ،هي الأنا**"[1] التي يتوق صاحبها إلى تقديرها والسعي للاعتراف بها في مجتمعه، فذات الإنسان هي انعكاس لما في الأنا التي تصنع تفردا وتميزا في شخصيته.

2_الذات اجتماعيا:

إنّ الذات في أساسها بنية نفسية واجتماعية تظهر وفق تفاعلها وتعاملها مع الحياة اليومية، ووجود الأنا لا يكون بمعزل عن(النحن والأخر)"**فالأخر–الآخرون هم أفراد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو(الأنا)،فإذا حددنا هوية(الأنا)كان(الأخر)فردا أو جماعة يحكم علاقته/علاقتهم بالأنا**"[2] فإن الاحتكاك الاجتماعي الذي يربط الذات بالغير تشكل علاقة تفاعل وتواصل التي تشارك فيها خصوصيات المجتمع الذي تنتمي إليه وتتقمص وعيه الجمعي في تعاملاتها، وتقاسم همومه ومشاكله فالإنسان مدني بطبعه.

لكن تبقي جدلية الأنا/الأخر متغلغلة في الفكر الوجودي الإنساني منذ الأزل وشكلت ميدانا خصبا للدراسات الثقافية والاجتماعية للبحث عن جوهر الذات وعلاقتها بهوية الأخر المخالف للأنا والذي يوصف بالغريب الأجنبي المناقض لهويتي، كما أن حضور "الذات" أمر بديهي لحضور "الأخر" المضمر والعكس صحيح. فسؤال من"أنا"؟ يحدده سؤال أخر من "أنت" بالنسبة للذات؟ ومن تكون هذه الذات "الأخر" وما علاقتها بالأنا؟ "**غير أن الأخر قد يكون هو الأنا نفسه، أي أن كل ما ينسب من مفاهيم للأنا من شأنها أن تنسب للأخر أيضا،**

---

[1] –جاسر الحربش، هوية الذات والهويات الأخرى، مقال صحفي عن الجزيرة، السعودية تاريخ الانزال2018/12/14 الموقع الالكتروني www .al–jazirah.com تاريخ الاطلاع:2023/04/15.

[2] –مصلح النجار وأخرون، الدراسات الثقافية ما بعد الكولونيالية ، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، عمان الأردن ،ط2008،1،ص51.

حين تأخذ الأنا محل الأخر"[1] إن الاشتراك بين هذين المفهومين من مكونات تحديد الهوية المتكاملة بعيدا عن الإقصاء والتهميش.

_ صراع الأنا/الأخر:

شكلت الدراسات الما بعد الكولونيالية وعيا إنسانيا في حقيقة وجوده الذاتي مقابل وجود "الأخر" الذي صورت هذا الأخير كـ"قضية ثقافية" لما يحمله من سلطة ومكانة مركزية يقصي فيها "الأنا" ويمارس عليها القوة والعنف والتقييد، كما استحوذ على الأرض والذات استحواذا غير شرعيا فأخذ رمز العدوان والشر بالنسبة للأنا.

من الواضح أن مصطلح (بعد الكولونيالية) يوحي لنا بزوال الوجود الاستعماري في العالم الثالث وإذا حددنا أكثر منطقة الشرق الأوسط، الذي يأخذ فيها "الأخر" بعدا سياسيا وحضريا يمثل الغرب الأوربي المهيمن والمستعمر، وظهرت "الذات الجماعية" مقاومة ورافضة لوجده على أراضيها فلملمت أشتات ذواتها لاستعادة هويتها "الثقافية" المسلوبة منها.

و بالتالي ارتبط مفهوم "الأخر" ارتباطا وثيقا بالهوية لإثبات وجودها الجغرافي واللغوي المهمش. فـ"**يقتضي من الذات ألا تكون صامتة تابعة للأخر مستسلمة لسلطويته"**[2]. ومعارضة كل سلطة تحاول تذويب كيانها عنوة وإلغاء صوت الوعي الكامن فيها الذي يفرض عليها الاغتراب الهوياتي وهو الصوت الذي أعلنته "الذات" في تجاربها الإبداعية.

---

[1] –وسيلة بكيس وسفيان زدادقة، وعي الأنا والآخر بين الحضور والغياب في رالثقافة الغربية المعاصرة،مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي،المجلد8،العدد1،مارس 2021، ص495.

[2] –حبيبة مسعودي، الأدب ما بعد الكولونيالي: تجربة الذات و الموضوع، مجلة أفاق علمية، المجلد14،العدد2 ،2022، ص614.

3_الذات المثالية:

كل إنسان له نظرة خاصة لذاته قد تكون نظرة سلبية وقد تكون ايجابية طبقا لمستويات الطموح لديه وبرمجة عقله الباطن اللاشعوري الذي يتأثر بما يفكر به عن نفسه وما يزوده بأفكار التي يطمح لتحقيق المثالية الذاتية ومحاولة تكوين الشخصية القوية التي لا تتأثر بالأزمات النفسية والتي تجعل من الاضطرابات والصدمات فرصة لتقوية الهوية الداخلية من خلال الإيمان بالقدرات الفردية عنده فـ "**الذات المثالية عندما تنبني على تقدير واقعي لقدرات الشخص الحقيقية ونواحي قصوره، فإنها تستخدم كمرشد لتوجيه سلوك الفرد**"[1] نحو النجاح وتحقيق التوازن النفسي مع الذات ومع الآخرين.

_تقدير الذات:

هو بمثابة مشروع فكري يعزز الفرد الذي تظهر عليه علامات الاضطراب النفسي إعادة تغيير ذاته ثم الانطلاق في تغير واقعه، وإعادة تقييم نفسه وتقبلها وتفعيل مشاعر الثناء لإنجازاته ولو كانت بسيطة لرفع الطموح لديه والإيمان بقدراته بكل إرادة وشغف وشعور تقدير الأخرين له والإحساس أنه مرغوب في مجتمع وغير مهمش وأنه مقبول اجتماعيا.

_مقاييس تقدير الذات:

من مميزات وعلامات بناء شخصية الفرد من جديد وإحياءها من حالة التشتت والتلاشي التي تحاصره نذكر:

_حب الذات: هي الركيزة التي تنمي التقبل والإعجاب بالنفس بعيدا عن التكبر والغرور.

[1] – بن صغير كريمة و بومدين سليمان، مفهوم الذات، ص41.

_**النظرة للذات:** تقييم الفرد لصفاته وإمكاناته العملية وبث الطاقة الايجابية لتنمية روح التفوق والتميز.

_**الثقة بالنفس:** هي عملية مهمة في تكوين شخصية وبصمة الفرد التي تظهر في سلوكاته وتصرفاته اتجاه نفسه واتجاه المحطين به.

فإن هذه المكونات الثلاث تشكل علاقة تفاعلية بينهم فحب الذات لا يكون دون الاعتقاد الايجابي لها والشعور بالثقة بالنفس في إعادة بناء كيانه الشخصي نحو مجتمعه وواقعه، والتكيف مع متغيراته وظروفه الاجتماعية والسياسية، والدفاع عن الذات أوقات الخطر وحماية حقوقه ومصالحه من الانتهاك والاعتداء.

4_ألذات أدبيا:

اخترقت الكتابة الأدبية الذات الإنسانية لتجعل منها تيمة سردية أو شعرية تنقل هواجسها وحالاتها ومشاعرها الكامنة بين الألم والأمل وبين القهر والتلاشي، لتخرج الصوت الذي بداخلها ليعلن عن وجوده وإثبات كيانه والبحث عن هويته المفقودة والمهمشة "**وأن ظهور الاتجاه الرومانسي وطغيانه على الاتجاه الكلاسيكي هو لون من بروز الذات/المفرد وغلبتها على الجماعة**"[1] فحملت المدرسة الرومانسية على عاتقها التركيز على الذات والعاطفة في العملية الإبداعية من خلال الشعر أولا ثم السرد والتخلي عن التفكير المنطقي والعقلي في الكتابة الكلاسيكية الجامدة الفاقدة للشعور والإحساس.

تظهر الذات في عدة أنواع او اجناس سردية نذكر منها:

[1] –ابراهيم بن محمد الشتوي، في البحث عن الذات دراسة في رواية سفينة وأميرة الظلال للكاتبة مها الفيصل، الأثر مجلة اللآداب واللغات، الجزائر، العدد'، ماي2005، ص 194.

1_**السيرة الذاتية:** أين يغوص الكاتب في حياته الشخصية ينقل ما عاشه وما حدث له في الماضي متحدثا بضمير المتكلم(أنا)باسمه الحقيقي الذي يزرع فيها بصمته الإبداعية وهويته الذاتية و ما يتعلق بحياته الشخصية ليجعل منها رمزا للتأمل والحكمة، وهو نوع تتعدد أسماءه بين (المذكرات، اليوميات والاعترافات) فكلاهما ينقلان يوميات الكاتب والتصريح باعتراف أمام الملء بكل حرية إبداعية "**في تصوير الذات فيفرض غلى الكاتب التحرر من القيود الأخلاقية والأعراف والتقاليد التي تفرض سلطتها الاجتماعية وتصبح الكتابة لديه فعلا حرا غير مقيد**"[1] ويحمل صوته وصوت مجتمعه كنقد وتقويم وإعادة الاعتبار للذات المقصية والمهمشة.

2_**التخييل الذاتي:** نوع جديد في الكتابة يزاوج بين السيرة الذاتية والرواية بصبغة تخيلية محضا يشتت القارئ بين التصديق أم التكذيب "**يجعل القارئ محتارا في كون الأحداث حقيقية أم متخيلة؛ حقيقية لأن اسم الكاتب موجود بصراحة في نصه وكذا مهنته ومكان تواجده وأسماء بعض شخصياته، ومتخيلة لأن ما يفترض أن يكون هو هذا**"[2] فالخيال السمة الطاغية فيه وهو نوع من الإبداع الجديد في الكتابة التي يعتمدها الأديب في تشتيت انتباه القارئ .

3_الميتاسرد:تأخذ الرواية من نفسها تيمة سردية يسرد الكاتب ما خلف العملية الكتابية عن الظروف والدوافع التي دفعته لكتابتها وبهذا "**تتحدث الرواية عن ذاتها وتنقل ملابسات كتابتها من اختيار عنوانها و شخصياتها و أحداثها**"[3] . فإن الذات لم تكن حاضرة فقط كشخصية في الفضاء السردي بل اتسمت بنوع من التجديد والخروج عن المألوف باتخاذها عدة وضعيات

---

[1]–هشام مشيال، الذات في السرد، مجلة الكلمة، العدد82، فبراير2014، الموقع الأليكتروني www ,ahkalima ,net تاريخ الاطلاع:2023/04/12

[2] –محمد بلعزوقي، هاجس الذات والرواية التجريبية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد6، العدد1، مارس 2023،ص9.

[3] – نفس المرجع، ص10.

للظهور فتارة كسيرة ذاتية مصرحة عن حياة الكاتب وما حدث له في الماضي و تارة أخرى تجعل القارئ محتارا متسائلا هل ما تسرده حقيقة أم خيالا، وإذا لم تجد الرواية ما تسرده تجعل من نفسها سردا وهو ما يعرف بالميتاسرد/الميتارواية/رواية التمثيل الذاتي.

لقد حاولنا فيما سبق التطرق إليه الوقوف على مفهوم "الذات" لغة واصطلاحا لتشعب استعمالات المصطلح بين تحديد الوقت وتحديد ماهية الشخص وجوهر كيانه الداخلي التي تشبه دور البوصلة في تحديد موقف الذات عند صاحبها وعند الأخرين بين القبول والرفض والتهميش، وارتباط مفهوم الذات ارتباطا أوتوماتيكيا بمفهوم الهوية فالهوية الذاتية هي بصمة كل شخص مختلفة ومتميزة عن الأخر.

إنّ إعادة الاعتبار للذات الهامشية هي إعادة تقدير الذات وبرمجة العقل الباطن اللاشعوري عند عن أفكاره التي تتحول إلى اعتقادات متشعبة في هواجسه الداخلية التي تتحول حتما إلى تصرفات وسلوكات اتجاه نفسه واتجاه غيره لتحقيق الهوية والشخصية السوية التي حاول السرد الروائي المعاصر من إظهارها ونفض غبار التهميش عنها، وستعرف عليه في تحليلنا هذا.

الفصل الثاني

تجليات الهوية والذات في رواية " الحي السفلي" لعبد الوهاب ن منصور.

1. قراءة ثقافية لـغلاف الرواية:

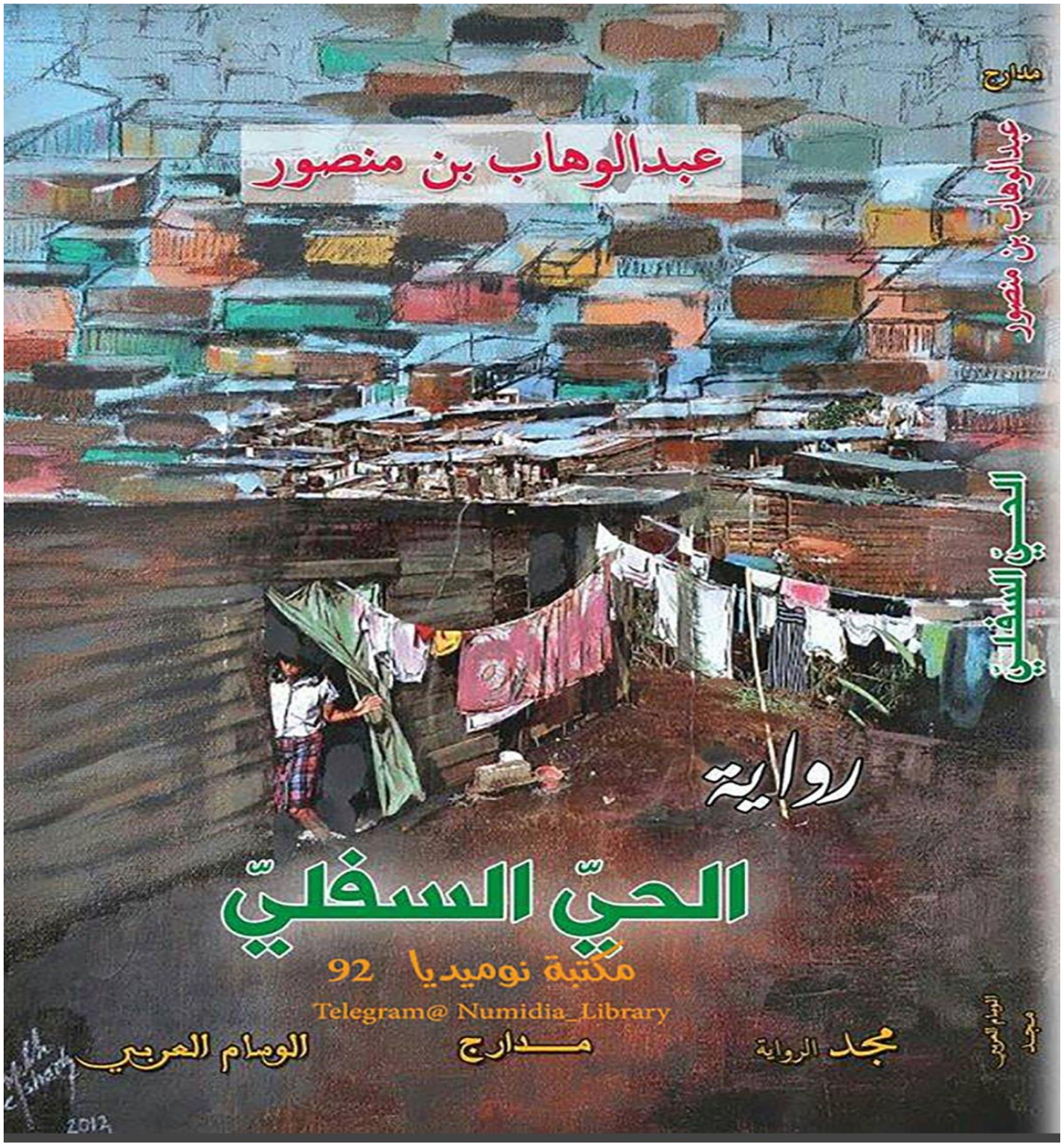

(صورة غلاف المدونة).

اعتمد الروائي **(عبد الوهاب بن منصور)** في روايته هذه إلى تبيان الذات المتلاشية والهامشية من الغلاف إلى الغلاف، وتتجلى ظاهرة التهميش على واجهة الرواية.

فإنّ القراءة النقدية هي البنت الشرعية للعمل الأدبي الذي ينشره الأديب منتظرا منه جس نبض القارئ بأسئلته الاستفزازية التي تقوده للكشف والتعمق فيما لم تصرح به اللغة الأدبية. ودفن مدلولاتها في تصميماتها الظاهرة على أغلفة الكتب والروايات.

إذ يعد الغلاف واجهة وعتبة من عتبات العمل الأدبي، يُقدم نظرة شاملة وكلية عن المتن الروائي، لآن "**الأشكال و الرسومات و الألوان المتفاعلة داخل فضاء الغلاف تمثل فسيفساء دلالية و جمالية**"[1]، فهي مساحة مخصصة لتمثيل الرواية برسومات وألوان تقدم صورة فوتوغرافية إيحائية جمالية لها.

وهذا ما نجده على واجهة رواية "**الحي السفلي**" حيث اختار الكاتب ريشة الفنانة التشكيلية المصرية **(ملاك الشاذلي)** لرسم صورة الحي السفلي الذي يتماشى مع النص الروائي، حيث تتفاعل الألوان والأشكال العشوائية الموحية للأحياء القصديرية الفوضوية والطبقة الفقيرة التي تجعل من الأكواخ وبيوت الصفيح العشوائية مأوى لها.

لكن السؤال المطروح، لماذا اختار الكاتب اليد اليمنى في إزاحة الستار؟ ولما اختار خروج الطفلة من البيت وليس الدخول إليه؟

إن الخروج دلالة لتغيير الموضع والمكان، والانتقال من حالة الفقر والخضوع إلى حالة المقاومة والمعارضة وإثبات الذات، وكسر قيود الإذلال.

أما اليد اليسرى، فكان اليسار منذ عقود طويلة يمثل الهامش والحواف على خلاف مركزية اليمين، و بعد ظهور الحداثة التي مست معظم الميادين السياسية، الثقافية والأدبية "**أعادت**

1- فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي ،بسكرة، 151.

الاعتبار لليسار الذي أضحى رمزا للتحرر والتجديد والإبداع"[1]، فإزاحة الستار باليد اليسرى والخروج من بيت الصفيح والحي القصديري دلالة على رفض المركزية والكشف عن أبعاد الذات المتلاشية والمقهورة وإعادة اعتبارها، والخروج عن صمتها للكشف عن خبايا السلطة وفضح سياستها الاقصائية والعنصرية التي تمارسها على مواطنيها وعلى أحيائها الشعبية التي تعاني الفقر والأمراض و هيمنة السلطة عليها، فنشر الأديب فضائحها كما تنشر غسيل الملابس.

يعد غلاف الرواية عتبة من عتبات الخطاب الروائي المعاصر الذي يوجه القارئ إلى بناء أو تشكيل فكرة مسبقة عن المتن العام للنص، وهي الصورة التخيلية التي رسمها القارئ من خلال صورة الحي الفقير المرسوم على غلاف رواية "الحي السفلي"، التي تشير إلى مكان وقوع أحداث الرواية. وهيمنة البنية المكانية المهشمة في ثنايا النص السردي.

تظهر العلاقة التكاملية التي تربط بين الواجهة الخارجية للغلاف والمتن الداخلي للرواية، كما نشير إلى العلاقة التواصلية بين النص والقارئ الذي استكشف إشاراته من خلال عنوان الرواية الذي جسدته شكليا الصورة التي قدمت له مغزى عام للتيمة الكبرى للعمل الأدبي.

يطغى اللون الأسود غير الغامق على ساحة الحي، رمزا للحزن والألم والسير نحو المجهول، كما يتدرج فيه اللون الأصفر لجذب النظر والاستشراف للخروج من المصاعب ورؤية نور الشمس بعد الحجر الإجباري الذي أمرت به السلطة بعد انتشار وباء الكوليرا "**فاعتبر اللون الأسود مع الأصفر أحسن الألوان حين يكون المراد لفت الانتباه السريع**"[2] فيكون اللون في حد ذاته لغة ناطقة جاذبة لانتباه القارئ المتلقي.

---

[1]– فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف و العنوان ،ص 150.

[2] –أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997، ص 157.

يتصدر اسم الروائي(**عبد الوهاب بن منصور**)أعلى الصفحة بالأحمر كتعبير عن تضامنه مع الفئة المهمشة، والذي ينقل صوتها وآلامها بكل جرأة أدبية "**فالأحمر مرتبط دائما بالمزاج القوي و بالشجاعة و الثأر**"[1] جعل من روايته رسالة ثأر و انتقام من سياسة التهميش والإلغاء.

يحدد الجنس الروائي على يسار الصفحة بالأبيض ليعبر عن "**طهارة و نقاء و صدق**"[2] الكاتب في النقل الدقيق و الصريح عن صرخة المهمشين. ورغم السواد والحرمان والحزن الذي يعيشه أصحاب بيوت الصفيح الذين يحاصرهم وباء الكوليرا إلا وتظهر المفارقة مع اللون الأبيض الذي يتمثل في الشخصية المحورية (احمد القط) كبصيص أمل، يسعى لإثبات هويته الوجودية

يتوسط عنوان الرواية في أسفل الصفحة باللون الأخضر "**فيعتبر العنوان نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية و أخرى رمزية**"[3] ،فالعنوان بمثابة البوابة الأولى التي يلج من خلالها القارئ، المسرح الدراماتيكي للخطاب الروائي الذي اختزله الروائي في جملة إيحائية عن عمق المتن، و التفاعل المتبادل بين المصرح والمخفي، و بين الظاهر و الباطن، ليتم من خلاله جس نبض النص والتوصل إلى الإمساك بجوهره ورسالته الدلالية والجمالية.

جاء عنوان الرواية "**الحي السفلي**" جملة اسمية دلالة للسكون والثبات عكس الجملة الفعلية التي تدل على الحركة و الاستمرار والتغير.

[1] – أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص 184.

[2] – المرجع نفسه، ص 229.

[3] – بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن، ط1، 2002، ص 33.

فكلمة(الحي)من دلالتها الأولية الظاهرة على إحدى الأحياء القصديرية الفوضوية الفقيرة التي تحيط بالمدن الحضرية الراقية، للدلالة على الطبقية الاجتماعية المنتشرة في الجزائر بعد الاستقلال إلى اليوم، وجاءت بعدة تسميات (حي ايكس، حي الصفيح).

لفظة (السفلي)صفة دالة على الطبقة الدونية من المجتمع وما يعرف بالطبقة البروليتارية أو العاملة ذات الدخل الضعيف التي تعيش في الأحياء الشعبية الفقيرة عكس الأحياء البرجوازية العلوية التي تقطنها الإطارات العليا من المجتمع.

تأخذ كلمة(الحي) المعرفة بـ (ال)"**للدور الذي يؤديه حرفا الألف و اللام باعتبارهما رمزا للذكورة والفحولة**"[1] التي تعبر عن الكائن الحي الذي يتمتع بالرجولة والشجاعة في مواجهة المواقف، والتحدي لنيل المكاسب بكل جرأة وفق والقيم لإنسانية و القيم الأخلاقية الحية في ذاته.

يظهر العنوان باللون الأخضر لأنه يريد أن "**يعترف به ،وأن يوجه نفسه بنفسه ويجد طريقه إلى الصمود في وجه المعارضة**"[2] حيث يحاول أهل الحي الصمود أمام المرض ومعارضة السلطة من جهة أخرى لإثبات وجودهم رغم القمع والتعذيب الذي مورس عليهم، فعليه "**يرتبط الأخضر بروح الدفاع و المحافظة على النفس**"[3]و المقاومة من اجل الحياة.

اختتمت صفحة الغلاف بدار النشر باللون الأصفر دلالة للتجديد والإبداع.

نستنتج أن غلاف الرواية صورة مصغرة عن عالم الرواية بأحداثها و شخصياتها.

---

[1] – فطيمة الزهرة بايزيد، الشكل الجمالي لصورة الغلاف و العنوان ، ص152.

[2] – أحمد مختار عمر، اللغة و اللون، ص 191.

[3] – المرجع نفسه، ص 154.

و يمثل الغلاف العتبة البصرية الأولى عند القارئ و المتلقي قبل التوغل في عوالمها الفنية، و بالتالي استطاع الغلاف أن ينقل مغزى الرواية ورسالتها الدلالية والإيحائية الظاهر في العنوان الذي يحمل رمزية هامشية، واحتفاء بالهوية المكانية المستبعدة المرفوضة من الوجود.

استفادت الرواية المعاصرة من تقنية الهوامش والتصديرات النصية التي تعد عتبة من عتبات النص السردي، ومظهر من مظاهر التجديد والتجريب.

فإن الكتابة على هامش النص الروائي هو الانفلات من حدود المتن المركزي واستغلال الهوامش لإضاءة المتن و الإفصاح عن المسكوت فيه "**فإن الخطاب الذي يقوم على توظيف الهوامش، يراد به تقوية المكتوب**"[1] وتقريب الصورة للقارئ/المتلقي، التي لم يصرح بها المتن تصريحا مباشرا ،و العمل على تفكيك رسالته المضمرة و المخبوءة تحت عباءة الجمالية الفنية لإعادة إنتاج خطابا موازيا للمتن.

اعتمد الروائي(بن منصور)على تقنية التصدير، الذي خصص صفحة كاملة تتوسط فيها قول مأثور للكاتب والروائي العالمي (مكسيم غوركي)القائل "**جئت هذا العلم، كي أحتج**".بها افتتح الروائي روايته هذه كتقنية لجذب انتباه القارئ وإغراءه للدخول في دهاليز المتن، الذي أراد من خلاله إسماع صوت شخصياته المهشمة التي تعاني من ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة، إضافة إلى وباء الكوليرا الذي خيم على الحي السفلي.

تركيز الروائي على غاية العيش بفعل الاحتجاج و المعارضة والرفض، و إرسال رسالة إنسانية في ضرورة المقاومة واثبات الوجود الذاتي أمام قمع المؤسسات المركزية، فأسندت بهذا الصدد(هويدا صالح) مقولة (أحمد شراك)الذي يرى أن "**غالبا ما تكون كتابة احتجاجية رافضة**

[1] – هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية ، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة ، ط1، 2015، ص 45.

لما يفرضه المركز على الطبقات المهشمة"[1] التي تكون مقصية في قاموس التنمية المستدامة التي تعلن عن غضبها وقهرها مثلا عن طريق الكتابة الجدارية التي تحولت جدران الأماكن العامة إلى مساحة للاحتجاج وتفجير الكبت الاجتماعي، أما الروائي فقد جعل من الأدب رسالة احتجاجية لواقعية رمزية وصرخة هامشية أمام مركزية الأدب الرسمي.

2_تجليات التهميش الهوياتي في الرواية:

أصبحت الكتابة الروائية ذات حمولة ثقافية، سياسية واجتماعية تسعى للكشف عن حقائق الظواهر الخفية ومعاني الأشياء الظاهرة، والتعمق في الذات الإنسانية والقلق الوجودي الذي ينتابها فصارت "**الرواية تجربة بحث قلق و مأساوي"**[2]، يتقصى فيها الأديب في موضوعاتها و مشكلاتها برؤية فنية وبصمة إبداعية متميزة عن الأقلام الأخرى مع أن المعاني مطروحة في الطرقات على تعبير(الجاحظ)،"**فيتفاعل معها الروائي بحس المبدعُ ورؤية المتابع المتفكر"**[3] الذي يشارك فئات مجتمعه قضاياه المتعددة في ثنايا الأدب المركزي الذي "**يخدم الطبقة العليا في المجتمع ، لذلك فهو دائما يحتفي به ومحاطا بالاهتمام** والحظوة"[4] من السلطة التي تبحث عن مؤلفين مأجورين تجعل من أقلامهم أبواقا جاهزة للدفاع عن سياستها ومخططاتها السلطوية، كدعاية إشهارية لإنجازاتها و لو كانت فاشلة.

على خلاف ما يُظهره أدب الهامش الذي يهتم كتابه على كشف حقيقة السلطة القمعية وما يعانيه الإنسان المعاصر من تهميش وإقصاء لدوره في المجتمع المدني.

---

[1] – هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب ،قراءة سوسيوثقافية ، ص 51.

[2] – سعيد يقطين ، قضايا الرواية العربية الجديدة ،الوجود و الحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، بيروت الجزائر، ط1، 2012، ص 113.

[3] – المرجع نفسه، ص 97.

[4] – صورية جيجخ، إشكالية المركز و الهامش في الأدب ،مجلة المخبر في اللغة و الأدب الجزائري، العدد العاشر، الجزائر ،2014، ص 30.

تعد رواية "الحي السفلي" من بين الروايات **البيكارسكية** أو**الشطارية**، وهي من المصطلحات المتداولة في عالم النقد الأدبي المعاصر نسبة إلى الأعمال الأدبية التي تصف الفقراء والمعدمين والمعوزين الذين ينتمون إلى خانة الطبقات المهمشة من المجتمع والذي يتكون من فئات المتسولين المحتاجين ومن اللصوص والمجرمين الذين يعيشون على هامش الحياة، فيجعلهم الأدب شخصيات محورية مستغلا وضعياتهم لإبراز الأمراض الثقافية المنتشرة في المجتمع العربي والجزائري بصفة خاصة على تعبير ***(اليامين بن تومي)***.

إذن تنتمي المدونة التي نحن بصدد دراستها إلى الأعمال البيكارسكية التي "**تشتغل على البيئات المهمشة، و تعني بالفقراء والمهمشين الذين يقفون على هامش المتن الاجتماعي**"[1] ،أبطالها شخصيات مهمشة فقيرة و منبوذة تعاني الاستبداد و القهر ،تتعرض للتمييز العنصري لهوياتهم الذاتية و المكانية من طرف دواليب السلطة الحاكمة التي تقمع حرياتهم وحقوقهم الاجتماعية و الإنسانية.

لكن، يتسلل الوعي إلى شخصياتها الرئيسية التي تثور على أوضاعها وحالاتها المهمشة، تحاول إسماع أصواتها المقموعة والتمرد على طابوهات السلطة المركزية والانتصار لمجتمع الهامش.

إنّ القارئ والمتتبع لرواية "الحي السفلي" يظهر له جليا التوجه التجديدي للرواية من خلال تمردها على البنية الزمنية التقليدية المتسلسلة. بتبنيها شكل الشبه العشوائي والفوضوي في نقل المشاهد السردية، والتناوب بين زمن الحاضر والماضي، و بين مرحلة قبل و بعد انتحار الشخصية المحورية. مما يعطي للرواية جوا من الغموض والتشويق لدى القارئ ما يدفعه إلى التعمق في الكشف عن علاقة تداخل الأحداث المختلفة فيما بينها. والبحث عن الكينونة الذاتية

[1] – هويدا صالح، الهامش الإجتماعي في الأدب ، قراءة سوسيوثقافية، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة ، ط1، 2015، ص 117.

المقموعة للبطل في ظل المتاهة السردية. حيث تقوم الرواية على ثلاث ثيمات كبرى وهي: صراع الذات مع نفسها وصراع الفئة المهمشة مع السلطة تحت الوضع الوبائي الذي خيم على الحي السفلي.

جعل (عبدالوهاب بن منصور) من وباء الكوليرا رمزا اجتماعيا وسياسيا سبقته إليه الشاعرة العراقية ***(نازك الملائكة)***في قصيدتها المعنونة **الكوليرا** عام1947،و تليها الكاتبة الفرنسية ذات الأصول اللبنانية والمصرية***(أندري شديد)***بروايتها**(اليوم السادس)** سنة1960.

ينطلق الروائي من فضح سياسة السلطة المركزية للبلاد بعد الاستقلال العاجزة عن تأمين مطالب شعبها في توفيرها العلاج لمجابهة أعراض المرض القاتل فهي "عدوة لا تفرق بين المواطن و الخائن، مثلما لا تفرق بين المؤمن و الكافر"[1] ،مستغلة الوضع الوبائي في تطبيق سياسة التهميش و الحجر الصحي على الحي لعزل أهله عن المدينة الحضرية خوفا من انتشار الوباء فيها.

فخيم "هدوء جنائزي يغلف المكان، مندهشا مما أرى، أتساءل بداخلي أين ذهب الناس؟ أين سكان الحي؟ هل ماتوا؟ هل قضى عليهم المرض؟"[2] فعم السكون والخوف لدى أهالي الحي الذين يحاصرهم المرض من جهة و أوامر سلطة المكتب الثاني من جهة أخرى بالتزام بيوتهم وعدم الخروج و إعلان حالة الحصار الإجباري.

إذا تمعنا في الرواية يتضح لنا أن الروائي حاول إظهار أو تسليط الضوء على العلاقة الطردية و المتنافرة بين الحي السفلي المنبوذ والسلطة الحاكمة في البلاد، و واقع الذات المتلاشية والهوية المهمشة من سلطة المركز.

---

[1] – عبد الوهاب بن منصور ، الحي السفلي، الوسام العربي ، مدارج، بيروت الجزائر ،ط1 ، 2016، ص 8-9.

[2] – نفس المصدر ، ص 62 .

2-1 مفهوم الهامش:

يعرف الهامش في معجم تهذيب اللغة "**الهمش والهمشة: كثرة الكلام والخطل في غير صواب**"[1]، الهامش هو الكلام غير المجدي وغير النافع فهو دلالة لصفة سلبية من الناحية اللغوية.

أما اصطلاحا فللهامش عدة مدلولات، متعددة بتعدد سياقات إيراده، و هذا ما أظهره***(أحمد شراك)***في مجلة أفاق التي تصدر عن اتحاد كتاب المغرب أن "**الهامش يرادف الحاشية أو الإحالة في الكتابة، و قد يعني أيضا مجالا للسلطة كما هو الشأن بالنسبة لهامش الورقة أو الدفتر المدرسي**"[2] بمعنى أن الهامش هو تلك المساحة الفارغة البيضاء التي تقع على يمين أو أسفل صفحات الكتب و الدفاتر التي يستغلها صاحبها للتوضيح، للشرح والتعليل لما جاء في المتن.

يطلق الهامش بصفة عامة على كل "**منبوذ ومتجاوز لسلطة المركز**"[3]، تمثل هوية خاصة لفئة معينة من المجتمع غير مرغوب فيها تعيش حالة الإبعاد العنصري، وهي الحالة التي تتجلى في الرواية مع الشخصية الحورية *(أحمد القط)*.

2-2 تهميش الذات :

إن الذات جوهر الحياة الإنسانية، بها يُكون الفرد هويته الشخصية، وإذا تعرض للإهمال و التهميش من طرف المحيطين به فقد صاحبها الرغبة في الحياة فإن "**عدم الاعتراف أو التهميش الذي يمكن أن تتعرض له فئة ما يمثل أكبر حافز لبروز الانغلاق و تراجع رغبتها**

---

[1] – أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي و محمود فرح العقدة ، الجزء السادس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،(د،ت)، ص 96، .

[2] – نقلا عن هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب ، ص 39.

[3] – صورية جيجح ، اشكالية المركز و الهامش ، ص 31.

في الاندماج في المجتمع"[1] يولد عند الشخص الإحباط النفسي والشعور بعدم القبول و الرفض من طرف الأخر فيدخل حالة الاكتئاب واحتقار الذات ،مما ينمي الرغبة في الانعزال عن الناس .ويمكن الوصول حتى إلى الرغبة في الانتحار، و هي الحالة التي توصلت إليها شخصية الورقية(أحمد القط)معترفا "فكرت في الانتحار كتجربة للحظة الفاصلة بين الحياة وما بعدها، لم أرى الانتحار هروبا من واقعي إنما هو المحطة التي وصلت إليها"[2] وهو الحل الأخير الذي فكر فيه لتحرير حياته من التعاسة و الكآبة البائسة.

يعيش الإنسان الحياة مركزا على الأهداف والأحلام التي يسعى لتحقيقها على أرض الواقع، و التي تثير فيه متعة الكفاح و المقاومة كجرعة أمل في درب الحياة، وقد لخص الروائي الحياة في جملته الأولى في الرواية "منذ وعيت وأنا أحلم"[3] ؛فالحلم مرادفا للحياة ولكل ذات إنسانية حية، وإذا فقدت أحلامها فقدت معها طعم الحياة كما فقدها (أحمد)الذي تحسر على نهايته "فقدت الحب وكل من أحببت وأحبني وفقدت معهم كل أحلامي"[4].

فقد شعر(أحمد) بضياع حياته يوم ضيع من يبادلهم الحب. وأصبح وحيدا بائسا فاقدا لغريزة البقاء، و وجد الموت حليفه فتغيرت لديه النظرة عن ثنائية الحياة/الموت، فعند صغره تحدى الموت من أجل الحياة، و في كبره يتحدى الحياة من أجل الموت.

فعندما انتشر مرض(الكوليرا) حاول التمسك بالحياة ساعيا جاهدا للبقاء على قيد الحياة و التباهي أمام أصدقائه بعدم إصابته بالمرض القاتل والنجاة من شبح الموت "قد أزداد بطولة في عيونهم حين يعلمون أني نجوت من الموت رغم تلك العلامة وبعد ثلاثة أسابيع من الحجر

---

[1] – رشيد الحاج صالح، لماذا عادت الهويات لتتصدر عالم اليوم؟نقد تايلور للحداثة وعلمانيتها ، مجلة تبين ،العدد 41، المجلد 11،صيف 2022، ص 80.

[2]– الرواية ، ص 10.

[3] – الرواية ، ص 7.

[4] – الرواية ، ص 267.

[...]أعرف أنه علينا نحن الصغار أن نختلق الحكايات والبطولات لنحلم ونحيا"[1] ؛يظهر هذا المقطع السردي المونولوج الداخلي عند (أحمد) الذي يتذكر فيه بطولات طفولته المفعمة بحب الحياة واثبات الوجود، أما لحظة الآن يعتقد أن من استطاع أن يضع حدا لحياته فهو بمثابة بطل حرر نفسه الميتة في هذا الواقع التعيس "إني أتمنى الموت ولا أخشاه، الموت بإرادتي"[2].

أصبح الموت أمنية يريد تحقيقها كما صمم لها دون تدخل العوامل الخارجية فيها سواء كان المرض أو قمعية(المكتب الثاني) التي صادرت حريته، فظهر "**التناقض الصارخ بين ما تريده الذات وبين ما يريده العالم الخارجي هو مدعاة لانفصام المرء و تشظيه**"[3] والعيش حالة التلاشي والاغتراب الذاتي في ظل الظروف الاجتماعية و الاقتصادية المزرية الظاهرة في الحي.

كانت تهمة انتحار (احمد)ذات بعد سياسي أثارت حفيظة السلطة العليا في البلاد التي اتهمته بضرب استقرار الدولة وزعزعة كيانها الداخلي، لاتخاذه يوما ذو رمزية وطنية في تنفيذ عملية انتحاره في ذكرى العشرين لاستقلال البلاد، متسائلين "لماذا اخترت ذلك اليوم بالذات للانتحار؟"[4] ، لم يقع اختيار اليوم عبثيا عند(احمد) بل كانت خطة مدروسة ذات دلالة عميقة تبين أن المواطن بعد عشرين سنة من الاستقلال لازال تحت حكم الاستعمار وأنه لم يحقق بعد النصر.

فلما كان(احمد)على قيد الحياة لم يعترف به ككائن حي كوضعية باقي المواطنين، و يوم قرر مغادرتها شكل خطرا وقلقا لسلطة الدولة التي تهتم بتاريخ الماضي أكثر من الحاضر الراهن،

---

[1] –الرواية، ص 62.

[2] – الرواية، ص 34.

[3] – هاجر مباركي و محمد سعيدي، إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟ مجلة العلامة دراسات أدبية ،العدد السادس، جوان 2018، ص 138.

[4] – الرواية ، ص 123 .

والخوف من تشويه تاريخها المقدس المتمثل في الخامس من جويلية، أو بالأحرى هي سلطة تهتم بالأموات أكثر من الأحياء. يعترف(احمد) "لم أقنع يوما أني حي وما من أحد اهتم بحياتي، فلماذا يهتمون بموتي؟ ألم أكن بينهم كما الميت؟"[1] فأظهر(المكتب الثاني) الذي يرمز للسلطة اهتمامه بيوم الانتحار أكثر من اهتمامه بموت أو نجاة (احمد).

تبين أنها سلطة تهتم بالرموز و الثوابت التاريخية، وهدفها حماية معالمها وذاكرتها الوطنية من الطمس و التشويه، والعقاب كل من تعدى عليها "**فمن الخزي و العار والخجل أن يعيش المرء حياة يجد نفسه متهما أمام المحاكم**"[2] على قناعات و قرارات شخصية أخذها الفرد بملء إرادته كما اختار(احمد) الانتحار من العيش على هامش الحياة أشبه بميت، و يجد نفسه متهما بعدة شكاوي في التآمر ضد أمن الدولة وتشويه التاريخ وخيانة الوطن.

لم يكن انتحار(احمد القط)إلا نتيجة لتدهور حالته الاجتماعية وتأزم هويته النفسية والشرخ الذاتي الذي يعيشه، فيمثل الجانب السلبي في المجتمع فهو السكير الذي لا يستطيع العيش "خارج قارورات الخمر الرخيص والكحول المهرب والسجائر المحشوة بالكيف"[3]

فاستطاع الروائي من خلال وصف شخصية البطل من تقريب صورته للقارئ؛ فهي شخصية هامشية فاقدة الرغبة في العيش بعدما ضيعت كل أحلامها، كما أنها شخصية تتميز بالكسل و الفشل والتهور و عدم تحمل مسؤولية أفعالها، وهو شخص يتلذذ بنزواته وشهواته الجنسية مع الممرضة (رشيدة)اللذان يقيمان علاقة غير شرعية في ضريح ملعون ومهجور يخون فيه حبيبته(جميلة)و بعدما تفطن لفعلته يصرح أنّ "ما قمت به مع رشيدة يجعلني خائنا في نظر

---

[1] – الرواية ، ص 91.

[2] – ميشال فوكو ، تأويل الذات، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط1، يناير 2011، ص 13.

[3] – الرواية ، ص 206 .

جميلة"[1] فكانت الخيانة بمثابة الهروب عن أوضاعه القاسية ونسيان آلامه النفسية و الجسدية التي تسبب فيها أعوان (المكتب الثاني)الذين تفننوا في التنكيل بجسده "**فالعقاب الجسدي يظهر سيادة السلطة عبر الجسد المنكل به**"[2].

فإن السلطة تستهدف الجسد لتظهر قوتها وسيادتها على الفرد من خلال تعذيب جسده داخل السجون التي تعد مكمنا للقمع و الاستبداد وحتى قتل كل من خالف سيادتهم لأن" نظامهم مبني على المثال و قائم على أجساد المواطنين و ألامهم"[3] الذين يعيشون على الهامش لا صوت لهم ومدافعا عن حقوقهم المسلوبة فالإنسان الهامشي يمثل الطبقة الفقيرة و الدونية في المجتمع التي تعيش على الطرق غير الشرعية في كسب لقمة العيش.

لقد حوّل الفقر والعجز بطل الرواية(احمد القط)و أهالي الحي السفلي إلى صعاليك بمفهوم جديد فمن بين "**صعاليك اليوم فئة تسمى"ما دون الطبقة Under class"المتسربون من التعليم و متلقو الإعانات من الدولة و مدمنو المخدرات والمشردون والشحاذون**"[4]، فهي طبقة دونية تعاني من الآفات الاجتماعية كالإدمان على المخدرات و الخمر، تعاني البطالة وانعدام الدخل وانتشار التسول و التشرد وحالات الغش و الاحتيال والكسب غير القانوني، وقد استعار*(أبو جبر)* مقولة *(زيغمونت باومان)* بأنهم يمثلون **(نفايات العالم)**، فاقدين للهوية الإنسانية يعانون التهميش والرفض و القمع ويعاملون معاملة المجرمين الخارجين عن القانون

---

[1] – الرواية ، ص 250.

[2] – نصر الدين بن غنيسة ، عن أزمة الهوية و رهانات الحداثة في عصر العولمة ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2014 ، ص 85 .

[3] – الرواية ، ص 98.

[4] – حجاج أبو جبر ،هل من مكان للهوية في عالم معولم ؟ استكشاف "الهوية السائلة" عند زيغمونت باومان ، مجلة تبين ، عدد 41، مجلد 11، صيف 2022 ، ص 168 .

الذين يشكلون خطرا على المجتمع و السلطة. يتعرضون للمراقبة وترصد أي حركة تصدر منهم، كما تعرض البطل للمراقبة من طرف أشخاص مجهولة.

_"ابن الزنا، أين اختفى ؟

_أعتقد أنه.. واصل جريه..إلى المقبرة.

_إن دخل المقبرة فلا يمكننا العثور عليه

_إلى متى.. سيظل هاربا؟ سنجده..

و سيعرف.. ما ينتظره؟ غدا.."[1]

يظهر هذا المقطع الحواري توعد أعوان المكتب الثاني من إيجاد البطل(احمد) الذي تضيفه إلى (القائمة السوداء) ممن يشكلون خطرا على أمن الدولة، و تمنح لنفسها الحرية التامة في ادعاء على أنهم أشخاصا يحملون "هوية إرهابية" يجب التخلص منهم و معاقبتهم، باختلاق الحجج لتظليل الرأي العام بحرصها الشديد على تصفية حساب كل من تعرض لسلطة البلاد، و تجعله شغلها الشاغل في مراقبة تصرفاته و أقواله لتجعل منها تهم تستغلها في عملية التعذيب و التعنيف .

لقد استطاعت الرواية أن تقدم نموذجا هامشيا متمثلا في (احمد القط) الذي أحاطت به ظروف اجتماعية و اقتصادية صعبة حتمت عليه الانحراف الأخلاقي وممارسة الآفات الاجتماعية و التعرض لشتى أنواع التعذيب من طرف(أعوان المكتب الثاني) بعد فشل محاولته في الانتحار الذي اختاره كسبيل للتخلص من حياته التعيسة التي دمرت ذاته المتلاشية وهويته

[1] – الرواية ، ص ،ص 100 –101 .

الإنسانية المهمشة و المقموعة من طرف مركزية السلطة، وبين الروائي أنه لا وجود لهامش دون مركز يمارس عليه التهميش.

2_2 إعادة بناء الذات المتلاشية:

إن الوعي بالذات هي مرحلة النضوج الفكري للوجود الإنساني والاجتماعي، الذي يضفي تحولا حياتيا و تغيرا جذريا في رؤية العالم والأشياء المحيطة به، من خلال التحرر من الأفكار الدوغمائية المتعصبة، و الانفتاح للاختلاف و تقبل الأخر دون التعرض لهويته الشخصية و الذاتية أو النظر لانتمائه الاجتماعي و السياسي الذي يصنف الهامشي عن المركزي، لأن" **وعي الإنسان لوجوده يكون بالحدس وذلك لأنه لا يوجد شيء أكثر صحة من الوجود الفردي**"[1] ؛ذلك الوجود الذي يعزز الثقة بالنفس والإيمان بقدراته وتقبل الذات في ظل الاحترام والتعايش مع الذات الأخرى، ومقاومة الأزمات والعقبات التي تعيق حريته الفردية و قناعاته الشخصية.

فجاءت الرواية على هذا المنطق الذي أراد(عبد الوهاب بن منصور) أن يؤسس له،و المتمثل في منطق المقاومة و الكفاح من أجل إعادة بناء الذات المتشظية عند الإنسان.

و أظهرها في نموذجين مختلفين و متناقضين تماما متمثلان في *(احمد القط) و(العربي المونشو)*.

[1] – ايغور كون ، البحث عن الذات ، دراسة في الشخصية و وعي الذات ، تر: غسان أرب نصر ، دار مصعد للنشر والتوزيع ، سورية دمشق، (د.ت) ، ص 15 .

2_2_1_ من الهامش إلى المركز:

استعرضت الرواية شخصية(احمد القط) وهو يعيد إلمام جزئيات هويته الهامشية و جعل منها ذات بطولة، غيرت نظرة الأخر له، أراد لفت انتباه العامة له بعدما كان منبوذا مهمشا لا حس له، قد يصنع لنفسه صدى في المجتمع يقول "ربما أتحول إلى بطل"[1].

أخذ من رمزية الخامس من جويلية يوما لاستقلال ذاته المتلاشية و تخليصها من الحصار المفروض عليها بعدما هيأ نفسه لعملية الانتحار التي غير زمن ومكان وقوعها عدة مرات لينتشر الخبر بسرعة بين العامة والخاصة يقول:"أردت أن أجعل من موتي لغزا يغزو لبضعة أيام أحاديث الناس"[2].

فقد تمكن (احمد) أن يتحول بفعلته هذه من شخص مهمش إلى شخص مركزي و محوري شكل قلقا لسلطة البلاد، ليسلط الضوء على الذات الهامشية و يشعر الأخر بوجودها و"**إعادة اعتبار للهامش و تفتيت المركز و تعرية الخطاب المهيمن على الحقل الثقافي-الاجتماعي**"[3] وتفكيك الحصار و الخناق الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه الطبقات الفقيرة و المهمشة في المجتمع و إعادة النظر لتلك الفئة غير المعترف بها.

استطاع (احمد القط)أن يواجه جميع الصعوبات و الأزمات التي تعرض لها منذ الصغر، فقد نجا من مرض الكوليرا، كما نجا من محاولة الانتحار التي أراد فيها التخلص من حياته التعيسة.

---

[1] – الرواية ، ص 237.

[2] – الرواية ، ص 12 .

[3] – احمد شحيط ، سؤال الذات و الهوية ، تاريخ الإنزال :2022/10/11، تاريخ الاطلاع :2023/04/13، الموقع :middle-east –online-com. .

أكسبه التعذيب الذي تعرض له وعيا كبيرا بذاته المقموعة و المسلوبة من الحرية الشخصية. فبالتالي يعتبر العنف من بين الأسباب التي تجعل الإنسان يطلب الاستقلال والحرية، كما يرى *(بيكو باريك)* **"العنف أحد العوامل المهمة في شحذ الوعي بالهوية"**[1] ،فالقمع والعنف يدفع بالذات إلى الاحتجاج و الانتفاضة على أوضاعها المزرية الغير الإنسانية التي تتعرض لها من قبل "الأخر"، والبحث عن جوهر هويتها المقموعة لإعادة بناءها و تشكيلها تشكيلا جديدا.

تمكن الأديب من تقريب صورة(احمد) المقاوم بترميزه (بالقط) ليمنح له دلالة للمرونة و الإصرار على الحياة، فالمعروف عن (القط) في الثقافة الشعبية أنه حيوان ذو سبع أرواح أشبه بالبطل (احمد) الذي نجا من الموت أكثر من مرة، كما جعل من القطط خير جليس وأنيس له وهو يعترف "عشت مع القطط ألفتني وتألفت معها بدل من الناس"[2] فضل العيش مع القطط التي تتميز بالألفة والرأفة التي لم يجدها عند البشر والبقاء وحيدا معها في أماكن خالية، مخيفة وأغلبها أماكن لا يتردد إليها الناس كمقبرة الحي السفلي و الضريح المهجور.

فإنّ اختيار الوحدة و العزلة هي من دواعي اكتشاف الأنا الداخلية الكامنة والخفية في بواطن الذات البشرية للإنصات إلى صدى النفس والتأمل فيها و التعمق في أفكارها لأن **"معرفة الذات هو انفصال من القطيع"**[3] فهي عملية تحتاج لإرادة كلية وروحية للتأمل في الذات و انعزال البشر.

---

[1] – بيكو باريك ،سياسة جديدة للهوية :المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل ، تر: حسن محمد فتحي، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2013 ، ص 52.

[2] – الرواية ، ص 268 .

[3] – ماري مادلين داغي، معرفة الذات ، تر: نسيم نصر ،منشورات عويدات ، بيروت باريس ، ط3 ، 1983، ص 100 .

جعل أيضا الروائي(بن منصور)من شخصية(احمد القط) شخصية مثقفة تعي وضعها ووضع مجتمعها الفقير المهمش فأصبح "**يمثل غيره ممن لا يمثلهم أحد في دوائر السلطة**"[1] ؛يمثل صوت المقموعين المهمشين من طرف دواليب السلطة المركزية في البلاد، و التمرد على قرارات(المكتب الثاني) بكل جرأة و إيمان بهويته النضالية ضد كل أشكال القمع و الاستبداد ودعوته جميع سكان الحي للاجتماع في ساحة الأبطال للاعتصام ومعارضة قرار السلطة في هدم بيوت الصفيح لإقامة منتجع سياحي في مكانه، يخاطب السكان يقول "ليس أمامنا إلا أن نلتزم بيوتنا التي رغم كرهنا لها، فهي على الأقل تسترنا ولا نغادرها إلا لبيوت أحسن منها"[2] ، يظهر خطابه ذلك مدى البؤس والفقر الذي يعيشه سكان الحي في بيوت القصدير المنعدمة من أي متطلبات العيش الكريم، و مع ذلك طلب التمسك بها لأنها تقيهم من التشرد في الشوارع دون مأوى .

بالتالي ظهر(احمد) بطلا في نظر جميع أهل الحي السفلي، الذي يجازف بحياته ويواجه الموت للمطالبة بحقوقهم الاجتماعية ونقل صرخة الطبقات الشعبية الضعيفة وتعريض نفسه للخطر من أجلهم، فمن سيمات البطل الإيثار والاهتمام بحياة الآخرين على حساب حياته الشخصية لأن "**البطل رجل شعبي، يحمل وعي الضعفاء و المظلومين، و البطل يحب الحياة حتى أخر لحظة**"[3] من حياته، يحلم بالحرية ولا يقبل الظلم، يقاوم من أجل إثبات وجوده و التمسك بهويته المكانية.

إن حضور "الذات" في النص ماهي إلا إشارة في جوهرها المضمر إلى تحقيق ذات الجماعة وإن اختصر الكاتب في إفراد ذات الشخصية الرئيسية مساحة الفضاء الروائي والوقوف على

---

[1] – إدوارد سعيد، المثقف و السلطة ، تر: محمد عناني ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص 11 .

[2] – الرواية ، ص 178 .

[3] – مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ،(حكاية بحار، الدقل، المرفأ) ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ،(د.ط) ، 2011 ، ص 17 .

حالته النفسية المتشظية المتلاشية التي أثرت عليها الظروف والعوامل الخارجية والتغيرات السياسية التي يعاني منها المجتمع.

فإذا النتيجة المتوصل إليها هو ما يظهر عن حقيقة أن الذات البارزة في النص هي ذات الجماعة، بمعنى إيراد الجماعة بصيغة المفرد انطلاقا من القضية التي يطرحها الأديب وإصرار الخطاب عليها والاجماع أنها قضية جماعية وليست ذاتية، وإن كان قد نسجها بخيوط المفرد، وبدلالة الأنا، ابتعادا عن التصريح بها بضمير "النحن"، وحينما نتوقف على هذه المحصلة النهائية لمفهوم الذات نجدها لا تعني سوى الهوية التي لا يمكن الكشف عن هذا المفهوم الأخير دون الحديث عن الدولة والجماعة كمقومات أساسية لتكوين الكينونة الوجودي الإنسانية الفردية في إطارها الجماعي.

والذات في حد ذاتها لا تنشأ خارج انتمائها الهوياتي التي تلجأ إليه فترات الضعف والقوة التي تحتمي تحت ضلاله الكليّ، فإنّ سؤال الذات/الوجود هو سؤال الهوية.

2_2_2_ من المركز إلى الهامش :

المعروف أن العالم يقوم على ثنائية الهامش والمركز. فورد مفهوم المركز في معجم لسان العرب في مادة "ر،ك،ز، **ركز المركز، غرزك شيئا منتصبا كالرمح و نحوه و تركيزه[...]و مركز الرجل موضعه [...]و مركز الدائرة وسطها**"[1] . فالمركز هو الشيء الثابت الذي تحيط به الأشياء، أو هو بؤرة الشيء و هو النقطة التي تتوسط فيه الدائرة.

أظهرت الرواية مظاهر المركز في سلطة(المكتب الثاني) التي تمثلها شخصية الرئيس *(هواري بومدين)* والضابط العسكري *(الروخو الفيسيان)* و*(العربي المونشو)* المجاهد، السياسي المناضل

[1] – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، المجلد السادس، دار صادر، بيروت لبنان ،ط 1، 2000، ص 214.

في الحرب العربية ضد إسرائيل، وهو عضو من أعضاء السلطة وقد شارك "في التعذيب والاستنطاق لكل المعارضين للنظام"[1] فكان اليد اليمنى للنظام يتمتع بقوته في اتخاذ القرارات وفرض الأوامر الديكتاتورية في تنصيب الرئيس أو كما يطلق عليه بالأسطورة، دون انتخاب الشعب عليه أو اختيارهم بإرادتهم و قناعاتهم السياسية و الإيديولوجية وتعذيب كل من تمرد سلطتهم.

عندما عاد(العربي المونشو) من الحرب العربية أراد عزل الأسطورة . الرئيس . عن الحكم وإعلان الانقلاب عليه، خطط له مكيدة لاغتياله يوم زيارته لضواحي الحي السفلي لافتتاح معمل للصناعات التقليدية، لكن باءت عمليته بالفشل بعدما اكتشفوا جريمته ألقي القبض عليه وتعرض للتعذيب الشديد فلم يعد ذلك الشخص الذي يثق فيه النظام، أصبح مجرد خائن لهم "خيانة الوطن و رفاق السلاح وكل التاريخ الذي صنعه لنفسه كمجاهد و مناضل و كسياسي"[2] .

كانت سلطة المكتب الثاني في هذا الموقف ذات دهاء عالي ،حيث لم تريد قتل خائنها(العربي المونشو) وتصفية حسابه بالموت النهائي، إنما اختارت له عقاب الموت البطيء و اغتياله رمزيا لتذكيره بجريمته مع النظام يقول "استأصلوا يدي ليزيدوا من ضعفي و عجزي"[3] وتذنيب ضميره.

قدم الروائي نظرة جديدة لهوية (العربي المونشو) الشخصية التي تخلصت من رداء السلطة والقوة، وتقمص الهوية الهامشية الفاقدة لمركزيتها، وأظهر ندمه الشديد على ممارساته القمعية ضد حرية الشعب في اختيار ممثليه في سلطة الحكم، و اعترف أنهم . النظام . من يصنعون

---

[1] – الرواية ، ص 218.

[2] – الرواية ، ص 195 .

[3] – الرواية ، ص 219.

الطغاة الديكتاتورية ويفرضونها على الشعب عنوة، مستغربا "من وهبنا هذا الحق؟ من نصبنا آلهة على العباد نتحكم في عقولهم و مصائرهم؟"[1]

لم يكن رجال النظام إلاّ عملاء يتم التخلي عنهم إذا خرجوا عن طواعية السلطة وعدم الالتزام بأوامره، كما لم يكن(العربي المونشو) "سوى بيدقا أو حصان مروض للعبور"[2] تم التخلي عنه ككبش الفداء.

إنّ مسيرته الحافلة بالجرائم والممارسات القمعية لصالح أصحاب النظام على حساب الفئة المهمشة من المجتمع، جعلته يتفطن لذاته ولهويته الشخصية والتعمق في جوهر كيانه لإعادة تصحيح مساره والتحرر من هويته السلطوية "**و السعي لإثبات الذات أي إثبات الهوية الخالصة الشخصية بعيدا عن هوية السلطة**"[3] و التخلي عن انتمائه السلطوي المركزي.

---

[1] – الرواية ، ص 210 .

[2] – الرواية ،ص 196.

[3] – زروقي سعيدون ، حول الهوية : قراءة سوسيو– سياسية لمفهوم الهوية و الانتماء ، مجلة أبعاد ، المجلد 7، العدد 2 ،2020/06/31 ،ص231.

3_ دلالات المكان أو المكان المهمش:

إنّ فلسفة الوجود الإنساني لا تنبني خارج واقعه الجغرافي الذي يحدد انتمائه المكاني، تخلق من خلاله علاقة تأثير وتأثر بينهم "**فمن خلال الأماكن نستطيع قراءة سايكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة**"[1] ؛فيعتبر المكان مرآة عاكسة لسلوكات المجتمع ونمط عيشهم وطريقة تفكيرهم وتعاملاتهم الإنسانية والاجتماعية التي تشكل المخزون التاريخي و الثقافي في ذاكرة الإنسان والمكان.

تحرّر المكان من حدوده الجغرافية و الهندسية وتألق في عوالم الخيال و الإبداع ،ليأخذ – المكان– لنفسه خارطة جمالية تفوق أو تقارب أفق القارئ و المتلقي، التي رسمتها اللغة الفنية في عالم الرواية رغم تعدد أسماءه و مصطلحا ته النقدية بين "المكان"، "الفضاء" و "الحيز"، حيث نجد الناقد(*عبد الملك مرتاض*) يفضل استخدام مصطلح "الحيز" أكثر من "الفضاء" من منظوره أن "**مصطلح "الفضاء" قاصر بالقياس على الحيز؛لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ؛بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل**"[2] .

فالفضاء جزء من الحيز و هو الرأي الذي خالف به غيره من النقاد حسب منظور ورؤية كل واحد في مقارباتهم النقدية والابستيمولوجية فنجد (*سيزا قاسم وغالب هلسا*) ينتصران للمكان، أمّا كل من (*سعيد يقطين وحميد لحميداني وحسن نجمي*)يعتمدون على مصطلح الفضاء

[1] – ياسين النصير ، الرواية والمكان ،الموسوعة الصغيرة عن دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – أعظمية ، (د.ط) ، 1986 ، ص 17.

[2] –عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د.ط) ، ديسمبر 1998 ، ص 121 .

اعتقادا أن الفضاء أشمل من المكان و أكثر اتساعا، فالأول بلا حدود والثاني يقيد بحواجز هندسية يتم إدراكها بواسطة حاسة البصر.

نتوقف على كل ما سبق ذكره حول اختلاف الرؤى عن عنصر المكان في الأدب، يدعون ذلك إلى طرح بعض التساؤلات التي تختلج هواجس القارئ وهو يمارس فعل القراءة على قول(آيزر):

_ هل المكان الموجود في الواقع المادي هو نفسه الذي نجده في ثنايا النصوص الأدبية؟

_هل عندما يبدع الأديب يحاكي المكان حرفيا؟

_ وإلى أي مدى يمكن للغة الفنية أن تحوي الجمالية المكانية؟

لم يعد المكان مجرد ديكورا أو صورة خلفية لأي عمل أدبي أو إبداعي، بل أصبح عنصرا فاعلا وعاملا مهما في الكتابة السردية المعاصرة، مع بقية العناصر المكونة للنص الروائي؛ فكل حدث إلا وتؤديه شخصيات وفق حيثيات الزمن وإحداثيات المكان.

يمثل المكان همزة وصل بين الأحداث والقارئ، يجعله يشعر وكأنه في قلب الحدث يشارك شخوصها في تحركاتها و تموقعها في أمكنة و مواضع تحدد هويتها "**فالمكان يمنح الشخصيات هوياتها**"[1] ؛حيث يتعرف القارئ من خلال الأمكنة الواردة في الخطاب الروائي على شخصياتها وأنماط حياتها وطريقة تفكيرها ومواقفها الإيديولوجية وعلاقتها بما يحيط بها،و كأن المكان بمثابة بطاقة تعريف للهوية الفردية و الجماعية للشخصيات و للعمل الأدبي بشكل عام.

[1] – مهدي عبيدي ،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه (حكاية بحار، الدقل ،المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، (د.ط) ، 2011، ص 193.

تتنوع الأمكنة وتتعدد بتعدد رؤية الأديب حول المكان كبنية هندسية وأخرى بنية جمالية لغوية في عالم الإبداع، حيث وقف الروائيون المعاصرون على أماكن محظورة وممنوع الحديث عنها في الأدب الرسمي، وتمكنوا من رفع الستار عنها والتنقل في دهاليزها المظلمة للكشف عن بواطنها والتصريح عما وراءها في ثنايا الأدب الموازي، الذي يقدم فرصة للتعرف عن البيئات المهمشة والمسكوت عنها، وهذا ما أكدته *(هويدا صالح)* **"أن المكان في الرواية التي تتناول البيئات المهمشة بؤرة السرد"**[1].

حيث أولى الخطاب الروائي أهمية بالغة لعنصر المكان سواء كان حقيقيا أو من نسج الخيال، ليس لأنه بنية من ضمن البنيات الجزئية الأخرى المشكلة للبنية الكبرى للرواية، أو لكونه ركح مسرحي تجري فيه الأحداث وتتنقل عليه الشخصيات، بل لأنه وعاء تنصب فيه جميع عناصر الأجناس الأدبية. كما يمكن أن يكون المكان الهدف الأساسي الذي ينطلق منه الأديب في عملية خلق نصه الأدبي ويمثل الركيزة الأساسية التي تهيكل العمل الفني ويجعله ذات حمولة دلالية ورمزية يتلقفها القارئ وتنشأ علاقة تفاعلية بينه وبين النص.

وتكون هذه العلاقة بتفكيك شفراتها اللغوية وتحديد جماليتها الفنية التي يبدع الكاتب في رسم "المكان" كفضاء أدبي غير مقيد بحواجز، ترسمها علامات لغوية وغير لغوية لتضفي الجمالية المكانية التي لا تتوافق مع صورة المكان الموجودة في الواقع كما هي. والأكثر من ذلك يقدم صورة معمقة ومبطنة خفية عن حقيقة الأماكن المهمشة.

يظهر ذلك من الوهلة الأولى لقارئ رواية الحي السفلي ولتلك العلاقة الموجودة بين المكان المهمش والشخصية المحورية.

[1] – هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيو ثقافية ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،ط 1، 2015 ،ص 205 .

3_1 _دلالات الحي السفلي :

"الحي السفلي" من الأماكن التي ركز عليها الروائي بناءه السردي والذي به عنون الرواية التي تصرح عن هويتها المكانية المهمشة، مما يشكل عند القارئ توافق أفق انتظاره مع أفق النص ، حيث يعد الحي السفلي من بين الأحياء الشعبية الفقيرة التي تقع على هامش المدن الحضرية البعيدة عن مركزية السلطة والتي تفتقر لأدنى متطلبات الحياة كالتعليم والعلاج فهي **"أحياء فوضوية تكثر فيها النقائص والمشاكل، بافتقارها لأهم المرافق والخدمات مما يجعل قاطنيها يعيشون تهميشا حضاريا ونوعا من الإقصاء"**[1] وكذا الإهمال والفقر والحرمان وانتشار اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية. يظهر الحي السفلي من أهم الأماكن التي تدور فيها أحداث الرواية، الذي يعيش أهله تحت تهديد وباء الكوليرا بالموت.

يذكر الروائي (بن منصور) الحي بعدة مسميات ،فتارة يقدمه بالتعبير الصريح(الحي السفلي) "يعود أبي محملا بالحكايات، حكايات الحي السفلي"[2]، فصفة السفلي دلالة للتباين و الاختلاف الطبقي مع الأحياء البرجوازية الغنية، ولم يوظف لفظة السفلي إلا دلالة للصفة العكسية التي تشير للعلوي كتناقضات ضدية تثير انتباه القارئ .

يذكره مرة أخرى بحي الصفيح" هل هي لعنة من الله على هذا الحي؟ أم مجرد ابتلاء لقياس درجة الإيمان؟ إيمان فقراء حي الصفيح دون أغنياء المدينة."[3] يطرح هذا المقطع سؤالا إنكاريا عن حقيقة ظهور وباء الكوليرا وانحصاره في حي الصفيح دون انتشاره في المدينة المركزية، هل المرض قدر من الله وابتلاء لعباده أم هو مؤامرة سياسية خلق في مخابر السلطة لهدف هدم الحي بحجة المرض المنتشر فيه، والاسم الأخر الذي جاء به الحي مرفوقا بعلامة(X)

---

[1]– بوقبس نديرة، الأحياء الفوضوية في الجزائر واشكالية التهميش الحضري، دراسة حالة مدينة قسنطينة، مجلة علوم وتكنولوجياD،عدد42، ديسمبر 2015، ص27.

[2] – الرواية، 170 .

[3] – الرواية ، ص 73 .

وهو المعروف بالحي إيكس "إذ طلب منه معلم اللغة الفرنسية اسمه ومكان إقامته، فأجابه أنه يسكن الحي إيكس (x)"[1]؛ فالإيكس دلالة للمجهول والمستقبل الغامض الذي ينتظر أصحاب الحي، الذين أصبحوا يحملون علامة(x) كصفة لازمة لهوياتهم الجماعية، أمام سخرية وإحراج الآخرين عليهم ،مما يثير فيهم قلقا نفسيا متسائلين عن ما هو "**الاختلاف الخاص الذي يسمح لهويتنا الشخصية بأن تكتسب مسارا، و من ثم يميزنا بوصفنا فردا معينا[س x] من بقية الأفراد المماثلين لنا؟**"[2]؛ كانت رغبة الأهل اكتشاف السمة المختلفة عن أصحاب المدينة، و هي نفسها "العلامة(x) التي تكاثر بين بيوت الصفيح"[3]، وأصبحت رمزا لكل مشتبه إصابته بالكوليرا، وعزل أهلهم خوفا من انتشار الوباء في الأحياء المرموقة.

بهذا نكتشف الهوية المكانية التي يحويها النسيج الروائي التي نقلها الكاتب بكل مصداقية فنية من خلال النعوت والصفات الدقيقة التي ألحقها على عنصر المكان وحسن اختيار أسماءه القريبة من المألوف لأنها بمثابة صورة استحضارية عن المكان في الواقع، كالحي السفلي بصفاته المختلفة بين السفلي والصفيح والمرفوق بعلامة(x) الدال عن الحالة الاجتماعية والإنسانية المزرية التي يعيش أهله شبح الفقر و المرض و الاستبداد السلطوي الذي يحاصر الحي من كل الجهات، فاجتهد الروائي في رسم صورة جديدة و مخالفة للمعتاد تماما وخارجة عن المألوف الذي حول –الحي– المعروف به أنه مكانا مفتوحا يتميز بالحركة والحرية إلى مكان أشبه بسجن تعتقل فيه حرية الفرد وجعله بمثابة الأرض المطوقة المحاصرة جغرافيا، إيديولوجيا و صحيا.

---

[1] – الرواية ، 238 .

[2] – ديفيد سبارتي ، الهوية واحراجاتها : من الهوية الشخصية إلى الاعتراف الاجتماعي ، تر : زواوي بغورة ، مجلة تبين ،عدد41 ،مجلد 11، صيف 2022 ، ص 178 .

[3] – الرواية ، ص 7 .

فالحيز المكاني للحي السفلي شبيه بالمكان المغلق الضيق الذي خلخل النظام العام للنص و أربك نظرة القارئ النمطية حول الحي كمكان مفتوح غير مقيد و تمكن الكاتب في المراوغة والتلاعب بالثنائيات الضدية بين المفتوح والمغلق معمولا بمقولة، بالأضداد تتميز الأشياء.

3_2_ البيت:

يعد البيت من الأماكن المغلقة التي ينتمي إليها الإنسان منذ الطفولة، هو فضاء هندسي تتوزع بين كل أركانه و زواياه ذكرياته وأحلامه التي بناها منذ الصغر فهو منع للحب و الاطمئنان، يمنح له الشعور بالدفء العائلي والألفة، وهو التعريف الذي صاغه *(غاستون باشلار)* في الفضاء الأدبي الذي جعله النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف كتابته الإبداعية مؤمنا "**أن البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة و مركز تكيف الخيال**"[1] .ذلك المكان الذي تتشكل فيه الشخصية و الهوية الذاتية للفرد.

-البيت/ الخطر:

نلاحظ تمرد الروائي على هذه الصورة النمطية التي تعرفنا عليها و ألفناها؛ فجعل من هذا المكان (البيت) منبعا للخوف واللاأمان والخطر الذي يعيشه (احمد)و هو يشاهد "ستة أقدام تتثاقل الخطى ثم تتوقف، مفتاح يدور في القفل ،من يفتح الباب في هذا الوقت من الليل؟"[2] يتساءل عمن يدخل بيتهم في منتصف الليل دون إذن منهم، فلم يعد للبيت خصوصية أهله بعدما تخلى عنهم والده وانتقل للعيش في المدينة مع زوجته الثانية وأبناءه الذي تفاجأ(أحمد) بما سمعه يقول: "لم أهضم خبره الذي بدا لي استبدالا جريئا لنا، أنا وأخي"[3] .لم تشعر الشخصية

---

[1] – غاستون باشلار ، جمالية المكان ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1984 ، ص 30

[2] – الرواية ، ص 44 .

[3] – الرواية ، ص 251 .

الروائية بالدفء الأسري ولم تجد سند الأب حاميا عليهم وعلى حرمة البيت ، فعم الخوف والرعب وعدم الأمان داخل البيت و كأنه سجن يعتقل سجناء بلا حقوق مجبرين البقاء فيه **"فتحول البيت كمكان اختياري في عرف الأمكنة وتقاليدها بحكم الحالة والتوتر إلى مكان إجباري"**[1] لا يطيق العيش فيه .

-البيت/المرض:

كانت مداخل البيوت المتواجدة في الحي السفلي مرصعة بعلامة(x) بالجير الأبيض دلالة على إصابة احد أفرده بوباء الكوليرا القاتل كإشارة لعدم التقرب من البيت ومنع أهله من الخروج منه و دخول أي شخص إليهم للخطر الذي يحدق فيه رغم عدم ظهور أعراض المرض عليهم جميعا، يصرح(احمد)متمنيا أن" أخلص جدتي من الحجر الذي هي فيه رغم أنها ليست مصابة بالعدوى"[2] منعت أعوان المكتب الثاني من تقديم تصريح لجدته من الخروج .يظهر ذلك أن القوانين الصارمة تكون في بعض الأحيان مجحفة لحقوق بعض فئات المجتمع. فالقوانين المكرسة في الدساتير الرسمية جاءت لحماية والدفاع عن حقوق الإنسان وكرامته.

لم يغفل الكاتب أن يقدم للبيت صورة ضدية أخرى يبين فيها الاختلاف الاجتماعي الظاهر من خلال مداخل البيوت الفخمة التي" زينوا المداخل بتماثيل لحيوانات ونساء عاريات"[3] كدلالة للمستوى الاقتصادي العالي والرفاهية الاجتماعية التي يعيشها أهله في المدن المركزية.

---

[1] – مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،(د.ط)، 2011 ، ص 57 .

[2] – الرواية ، ص 43.

[3] – الرواية ، ص 192 .

-البيت /الجنس:

جعل الكاتب البيت فضاء للفساد الأخلاقي تمارس فيه العلاقات الجنسية غير الشرعية التي تشوه قداسية المكان الذي يتحوّل إلى أوكار للرذائل والفضائح المنتشرة في المدينة الحضرية، كبيت (رشيدة) خالة (رشيد ياماها) الذي أخبر صديقه(احمد)عن حقيقة البيت الذي "يتحول في الليل إلى مكان يجمع فيه الفيسيان نفسه مع رجلين آخرين ونساء كثيرات، يشربون و يسكرون ثم يرقصون قبل أن تتعرى النساء حتى الصباح"[1] .

استطاعت الرواية أن تقدم البنية الهامشية للبيت كرمز لحصار و منع أهله من ممارسة حريتهم في الخروج من البيت وإصدار قانون المنع بحجة انتشار الكوليرا عند أحد من أفراد أهله، وتحول إلى مصدر الخوف والخطر على أصحاب المدن الحضرية التي تترصع جدران بيوتهم بالتماثيل الدالة على الفخامة العالية .ووقف الروائي على فضح الانحلال الخلقي المنتشر في الأحياء الغنية التي لا تحترم العرف والقانون.

3_3_ السجن:

يحتل(السجن) فضاء الرواية كتيمة معاصرة ومواكبة لواقع الأمة بعدما تحررت عدة أقلام أدبية من عقدة الخوف، بتبنيها قضايا مسكوت عنها، و تناولها مشاغل المجتمع العربي والوطني –خاصة– بعد التغيرات السياسية والاقتصادية و الثقافية التي خلفت عدة صراعات اجتماعية ومعارضات شديدة واعتقالات كثيرة ،نقل الأدب معاناتهم داخل السجون بطريقة سردية فنية، فأفرد له نوعا خاصا به وهو ما يعرف بـ[أدب السجون] و"**هي تلك الكتابات التي**

[1] – الرواية ، ص 205 .

يكون موضوعها السجن أيا كان كاتبها سواء ممن عاشوا التجربة السجنية أنفسهم، أم ممن كتبوا عنها من المبدعين"[1] الذين جعلوا من اللغة الأدبية صوتا لمن خلف القطبان .

_السجن/ الجسد:

جاءت أغلب أحداث رواية "الحي السفلي" في السجن وإن كان الكاتب أحيانا يستبدله بلفظة (الزنزانة) وهي جزء من السجن الذي جسده كمكان هندسي شديد الظلمة والرعب تلقى فيها البطل(احمد) للعنف والتعذيب من قبل أعوان المكتب الثاني الذي يرمز لسلطة البلاد، بعدما وجد نفسه في مكان مجهول مع أشخاص مجهولة "اكتشف أن القاعة فسيحة يتوسطها مكتب صغير عليه مصباح، من السقف تتدلى حبال وسلاسل وفي أحد أركانها حوض ماء أبيض عند قدمي خط كهربائي"[2].

استطاعت اللغة الواصفة من تخيل المكان في ذهن القارئ ولما تحمله من شحنات اللذة في عقاب أجساد السجناء و التفنن في أدوات وآليات التعذيب وحب التنكيل بالجسد بالحبال والسلاسل والكهرباء وغيرها من المعاملات اللاانسانية التي تؤثر على الجهاز العضوي والنفسي.

إنّ كل من خالف نظام السلطة تكون نهايته إما القتل وتصفية حسابه بشكل نهائي أو الاعتماد على وسيلة الموت البطئ باستئصال عضو من أعضاء الجسد كعقاب دائم، الذي يذكره بخيانته وهي الوسيلة العقابية التي مارسها النظام مع(العربي المونشو) الذي يعترف أنه كان بيدقا تم التخلص منه بشكل جزئي "فقد استأصلوا يدي ليزيدوا من ضعفي وعجزي"[3] وتلقي

---

[1] – عبد القادر لكحل، عباس بن يحي ،بنية السجن في الخطاب السردي المعاصر، رواية من الصخيرات إلى تازمامارت تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم –أنموذجا– ،المجلد :7 ،العدد: 1، جانفي 2023 ، ص 352 .

[2] – الرواية ، ص 112 .

[3] – الرواية ، ص 219 .

معاملة وحشية جسديا وذاتيا، لم يشفع له تاريخه السابق مع السلطة النظام من التعذيب وهو الذي كان من رموز النظام قبل التمرد عليه.

3_4_الضريح:

تعد أضرحة الأولياء الصاحين والزوايا من معالم الهوية الشعبية والثقافة الدينية في الجزائر منذ الأزل، وهي من الفضاءات العامة التي تحظى بقدسية واهتمام واسع من طرف فئة شعبية المهمشة من المجتمع التي تتردد إليها كنوع من التقليد التراثي. "**والضريح غالبا ما يكون على شكل غرفة مربعة مغطاة بقبة ،تبنى من الطوب أو الحجارة مع استعمال الزخارف الجصية على سطح القبة**"[1] فهو يتميز بشكل هندسي معين، يتوسطه قبر سلطان أو أحد أئمة العارفين بالدين معروفين بالطاقات الخارقة الذين يملكون تابعين لأسلوبهم وما يعرف بالمردين.

-الضريح/ الأمان:

أضفى الكاتب دلالة ايجابية للضريح كمكان للأمن و الأمان عند البطل(احمد القط) يلجأ إليه للحفاظ على وجوده من أي خطر يواجهه من السلطة" فلم أجد غير الهرب إلى الضريح المهجور"[2] ؛فكان ذلك المكان مخبأه السري الذي لا يتجرأ أحدا من اجتياز عتبة بابه للعنة التي يتعرض لها كل من دخله.

تحدى (احمد القط) قانون الطبيعة الخارقة للضريح فتمكن من الدخول إليه دون أن تصيبه أي لعنة فتشكل لديه نوع من القبول والشعور بالراحة النفسية يتخلص فيه عن همومه ويأسه من الحياة والحزن الذي يعيشه خارجه وعرفه(ياسين النصير)على أن "**الضريح هو المكان**

---

[1] – سليم درنوني، التحولات الوظيفية لمساجد ،الزوايا و الأضرحة بين الأمس واليوم، دراسة انثروبولوجية بالزيبان وجنوب الأوراس ،مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،المجلد 13، العدد 1 ،2021 ، ص 201 .

[2] – الرواية ، ص 239 .

الذي يزيح الذنوب، ويشفي المرضى، ويلقي بالهموم إلى أعماق سحيقة"[1] ،قدم الروائي صورة حية لمكان الضريح المرفوض اجتماعيا لما يعتقد أنه مكان للرعب والأشباح وحوله إلى مكان للتأمل في الذات الداخلية لأحمد ومكان يبعث الايجابية والامان.

_الضريح/الجنس:

أظهر الروائي جرأته الأدبية من خلال التطرق في الحديث عن موضوعات تعد من الطابوهات الممنوعة اجتماعيا، أخلاقيا وأدبيا. وقف على ظاهرة (الجنس) مكتشفا الانحلال الأخلاقي المنتشر في المجتمع وغياب الوازع الديني.

جعل من الضريح مكان مغلق يمارس فيها البطل(أحمد) نزواته الجنسية مع الممرضة (رشيدة) وما يشعر فيه بالحرية المطلقة" في تلك الليلة تقف قبالتي بقميص نوم أحمر شفاف تحت ضوء باهت لشمعتين موضوعتين على الضريح" فقد وظف الكاتب الجنس توظيفا رمزيا لإبراز درجات القهر التي يعيشها الشباب الجزائري في ظل الأزمات والضغوطات الاجتماعية والاقتصادية المنتشرة في المجتمع.

كان من عوامل انتشار الظاهرة من إسهامات سلطة البلاد لتخدير وعي الشباب عن الأوضاع المزرية التي تتخبط فيها الفئات المهمشة الفقيرة لكي تلهيتهم عن الانتفاضة وطلب التغيير. بإشباع رغباتهم وإبعادهم عن الحياة السياسية، وبعد فوات الأوان يكتشف(احمد) انه كان مجرد لعبة في يد السلطة "أدرك الآن أني لم أكن غير بيدق سهل التحريك بين يديها ويدي العربي المونشو الخفية، ثم قدماني كبش فداء للنظام"[2] لإبعاده عن ابنته جميلة والسكوت عن سياسة سلطة أعوان المكتب الثاني القمعية.

---

[1] – ياسين النصيرة، الرواية و المكان، الموسوعة الصغيرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–أعظمية ، 1986 ، ص 99 .

[2] – الرواية، ص 264.

من خلال ما سبق عرضه، حاولنا الوقوف على دلالات المكان في رواية "الحي السفلي". التي تجرأ فيها الروائي على إظهار الأماكن المهمشة وإعطاءها مساحة نصية للكشف عن دلالاتها المخبوءة والمضمرة تحت عباءة اللغة الفنية، حيث قدم صورة متمردة وغير مألوفة لأماكن اعتاد عليها القارئ العربي والجزائري خصوصا على أنها أماكن ذات شحنات ايجابية لما تنشره من الأمن والاستقرار والدفء الأسري المفعم بالحرية والحركية كالبيت والحي، عكس ذلك اعتبرهم الروائي من الأمكنة التي تختنق فيها الحريات وهي أشبه بزنزانة السجن التي ترمز للعنف والتعذيب النفسي والقمع الجسدي.

وفي موضع آخر، حرر بعض الأماكن المغلقة التي ساد الخوف والرعب فيها في الثقافة الشعبية كالمقابر والأضرحة التي يعتقد أنها مجمعا للأرواح والأشباح، على خلاف ما تشعر به الشخصية الرئيسية في الرواية (احمد القط) وهي تدخل هذه الأماكن بكل أمن وسلام، وما تزوده له بالسكينة والحرية المطلقة.

خـــاتمة

خاتمة.....

خاتمة:

من خلال ما تم التطرق إليه في قراءتنا هذه سنحاول الوقوف على أهم النتائج المتحصل عليها:

1-تطورالرواية العربية والجزائرية المعاصرة والاستفادة من تقنيات وأساليب فنية جديدة وهوما يعرف بالرواية التجريبية التي خرجت عن تقاليد الكتابة السردية المألوفة.

2-تبيان دور القارئ/المتلقي في تفكيك وهدم النص الإبداعي ثم إعادة بناءه وإنتاج قراءة جديدة.

3-الوقوف على مصطلح "الهوية" وتحديد الفروقات اللغوية والنطقية (بفتح وضم الهاء) فالأولى بمعنى السقوط والهلاك والثانية دلالة لحقيقة الشيء ووجوده.

4-تعتبر الهوية ظاهرة سياقية دينامكية، فيمكن أن تكون فردية سيكولوجية وكذلك جماعية سوسيولوجية في الوقت نفسه فهي ذاتية ومركبة.

5- تشكل الذات النواة الأساسية التي تقوم عليها الشخصية الفردية وهي بمثابة بوصلة تحدد أفكار وسلوكات ونظرة الفرد اتجاه نفسه واتجاه الأخرين.

6-إن الذات بنية نفسية واجتماعية دينامكية يصعب تحديد مفهوما جامعا مانعا لها ومرادفة لفظة الذات/الأنا التي لا تعيش بمعزل عن (الأخر) الذي وصفته الدراسات الما بعد الكولونيالية بالمركز والشر.

7-تعتبر رواية الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور من الروايات الشطارية أو البيكاريسكية وهي من المصطلحات النقدية المعاصرة التي تجعل من شخصياتها من الفقراء والمعوزين الذين ينتمون إلى الطبقة المهمشة من المجتمع.

8-تعد واجهة غلاف رواية"الحي السفلي"عتبة من عتبات العمل الأدبي حيث تقدم الأشكال والألوان فيها لغة جاذبة لانتباه القارئ تدفعه لتفكيك رموزه والكشف عن هويته المكانية ورمزيته المهمشة.

9-يظهر التوجه التجديدي للرواية من خلال تمردها على البنية الزمنية التقليدية وتبني شكل الشبه العشوائي والفوضوي في نقل المشاهد السردية والتناوب بين زمني الحاضر والماضي.

10-أظهر الروائي قوة تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية في تلاشي الهوية الفردية وتدمير الذات ومن جهة أخرى قدم رؤية جديدة لإثبات الوجودو إعادة الاعتبار للذات المقموعة.

11-براعة الروائي في تقريب صورة الشخصية المحورية الهامشية (أحمد القط) التي تتميز بالكسل والفشل والتهور وعدم تحمل مسؤولية أفعاله والرغبة في الموت، ففي صغره تحدى الكوليرا ليعيش وفي كبره يتحدى الحياة من الموت والانتحار.

12-اتهام سلطة البلاد (أحمد) بالمؤامرة ضد الدولة وتشويه التاريخ المجيدة بسبب اختيار يوم انتحاره في ذكرى ال20 للاستقلال وتعرضه للعنف والقمع.

13- جعل الروائي من وباء الكوليرا رمزا اجتماعيا وسياسيا فضح من خلاله قمع سياسة السلطة المركزية لأهالي الحي الصفيح، كما كان رمز(القط) دلالة للمرونة وإصرار(أحمد) على العيش ومقاومة التهميش.

14-وصف الروائي شخصية(احمد)بالمثقف يعي وضعه ووضع مجتمعه ويمثل صوت المقموعين والمهمشين من طرف سلطة المكتب الثاني ومعارضة قرار هدم الحي.

15-براعة الروائي في خلق صورتين متضادتين تتمثلان في تغيير الوضع عند (أحمد القط) تحول من الهامش إلى المركز، أما(العربي المونشو) فتحول من المركز إلى الهامش بعد محاولته اغتيال الرئيس.

16-يعتبر المكان عنصرا مهما وعاملا فاعلا في الكتابة السردية المعاصرة ليكشف عن الهوية المكانية.

17-قدم الكاتب صورة مخالفة للمعتاد عن الأماكن المفتوحة (الحي) المفعمة بالحركة والحرية وصوره بمثابة الأرض المحاصرة جغرافيا، سياسيا وصحيا وكأنه سجن مسلوب الحرية.

18-قدّم عدّة دلالات للبيت وحوله إلى منبع الخطر والخوف والفساد الأخلاقي في حين حرر بعض الأماكن التي ساد فيها الرعب والخوف (المقبرة، الأضرحة) وحولها لأماكن ايجابية ذات حرية مطلقة عند(احمد).

19-إنّ الذات البارزة في النص الروائي هي ذات الجماعة وإن طرحها الكاتب بصيغة المفرد وبدلالة (الأنا)ابتعادا عن التصريح بها بضمير الجمع(نحن).

وفي ختام عملنا هذا نتمنى أن نكون قد وفقنا في تقديم هذه الدراسة ونشكر لكم عناء قراءتها وتصويب زلاّتها، مؤمنين أنّ كلّ بحث علمي فيه تقصير وأخطاء وجلّى من لا يخطىء، وبتوجيهاتكم نصححها ونصوّبها بإذن الله.

ملخص الرواية

ملخص الرواية:

سنتعرف على احدى الروايات المعاصرة، المعنونة "الحي السفلي" للروائي الجزائري " عبد الوهاب بن منصور" التي تحمل 268 صفحة من الحجم المتوسط، الصادرة عام 2016 عن منشورات مدارج بيروت، الجزائر.

تدور احداث الرواية عن الشخصية المحورية الملقب "احمد القط" الذي كان يعيش مع والدته وجدته وأخيه في احدى الاحياء القصديرية القريبة من المدينة الحضرية بتلمسان المعروف "بالحي السفلي "

فبينما كان يلعب في ساحة الابطال مع اصدقائه اختبأ مره في احد الأضرحة المهجورة التي لا يتجرا أحد من دخولها للعنة التي تلبس كل من دخلها، فراح احمد يفتخر ببطولاته و شجاعته بين رفاقه.

ولما علمت جدته بفعلته اضطرت لعرضه على الفقيه الذي أعد له حجابا لحمايته.

وبعد مدة حجز وباء "الكوليرا" الحي السفلي دون المدينة الغربية، ذات البنايات الضخمة التي يقيم فيها الاطارات السامية من المجتمع، فخطف الوباء والدة أحمد متأثرة بأعراضه القاتلة مما اسرع" المكتب الثاني" بقيادة الضابط العسكري" الروخو الفسيان"، من اعلان حاله الحجر الصحي للحي هو رسم علامة اكس Xعلى ابواب البيوت المشتبه اصابتها بالمرض.

بينما كان أحمد يعاني من اعراض المرض كان يأتيه الطبيب الهندي للكشف عنه يوميا، وكان ملزما عليهم المكوث في البيت الى أن يعلن شفاؤه شهادة طبية وقعة من المكتب الثاني، وبعد استلامه لتلك الشهادة راح يطمئن على اصدقائه فلم يجدهم، علما ان فريد الزاوش ورشيد المعروف بالياماها انتقلا للعيش خارج الحي وبينما كان يهم بالبحث عنهم، اختطفه ثلاثة رجال اقتادوه دي المستشفى القديم بحجه انه خرج دون تصريح طبي، الا انه تمكن من العرب منهم وساقته قطة الى الاختباء في الضريح.

بعدها انتقل احمد الى مدرسة جديدة وتعرف فيها على صديقه (يوسف اكس) الذين شاركوه استقبال الرئيس هواري بومدين التي جاء الافتتاح معمل للصناعات التقليدية بجوار الحي السفلي.

وبعدها توالت عليه الاحزان بدءا بخبر انتحار اخيه في فرنسا ثم تالته جدته متأثرة بالخبر. فقرر وضع حدا لحياته والانتحار في ذكرى عيد الاستقلال 20 قد رفض الذل والتهميش الذي عاشه مع افراد الحي من طرف النظام السياسي للبلاد، الا ان محاولته باءت بالفشل ووجد نفسه في مخبر المخابرات الذين اتهموه بتشويه وزعزعة امن واستقرار البلاد، فقد أصبح من شخص مهمش الى مركز الاهتمام، وهذا ما ساعده بلم افراد الحي للمطالبة برفض قرار هدم الحي وتحويله الى منتزه.

وبهذا حاول أحمد القط إثبات ذاته ووجوده وهويته المهمشة الغير مرغوب فيها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.....

قائمة المصادر:

1. عبد الوهاب بن منصور، الحي السفلي، الوسام العربي، مدارج، بيروت الجزائر، ط1، 2016.

القواميس والمعاجم:

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد السادس، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، 2000.
2. أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي و محمود فرح العقدة الجزء السادس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د،ت).
3. أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: ابراهيم الابياري، دار الكاتب العربي، الجزء الخامس عشر،1967.
4. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت 1978.
5. بونت وايزار، معجم الانثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للترجمة والتوزيع، "مجد"، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2006 شوقي ضيف وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمجتمعات وإحياء التراث، مصر، ط4، 2004.

قائمة المراجع:

1/ الكتب:

1. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997.
2. إدوارد سعيد، المثقف و السلطة ، تر: محمد عناني ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2006 .

3. اغور كون، البحث عن الذات دراسة في الشخصية ووعي الذات، تر: غسان أرب النصر، دار مصعد للنشر والتوزيع، سورية دمشق، (د.ت).
4. أمين معلوف، الهويات القاتلة: قراءات في الانتماء والعولمة، تر: نبيل محسن، دار ورد، دمشق، 1999.
5. ايغور كون، البحث عن الذات، دراسة في الشخصية و وعي الذات، تر: غسان أرب نصر، دار مصعد للنشر والتوزيع، سورية دمشق، (د.ت) .
6. باريك بيكو، سياسة جديدة للهوية المبادئ السياسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، تر: حسن محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1 ،2013.
7. بسام موسى قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ط1، 2002.
8. جورج لارين، الايدولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، تر: فريال حسن خليفة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط 1 ،2002.
9. حسين حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.
10. خير الدين الصوابني، الهوية في التفكير العربي الحديث، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية 1992_1993.
11. سعيد يقطين، قضايا الرواية العربية الجديدة، الوجود و الحدود، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، بيروت الجزائر، ط1، 2012.
12. سعيدة بن بوزة، الهوية و الاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، دار نينوي، سوريا دمشق،ط1، 2016.
13. شريف كناعنة ، دراسات في الثقافة ز التراث و الهوية، فلسطين،2011.

14. الطاهر لبيب، صورة الأخر العربي ناظرا و منظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1999.

15. عبد الغني عمار، سوسيولوجيا الهوية جدلية الوعي و التفكك و إعادة البناء، عن مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2017.

16. عبد الله الغذامي، القبيلة و القبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب 2009.

17. عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د.ط) ، ديسمبر 1998.

18. علي حرب، خطاب الهوية سيرة فكرية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2008

19. غاستون باشلار ، جمالية المكان ، تر: غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1984 .

20. فتحي التريكي، الهوية و رهاناتها، تر: نور الدين السافي و زهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، بيروت تونس، ط1، 2010.

21. مارتن هايديجر، الفلسفة، الهوية و الذات، تر: محمد مزيان، دار الأمان، الرباط، ط 1 ،2015.

22. ماري مادلين داغي، معرفة الذات ، تر: نسيم نصر ،منشورات عويدات ، بيروت باريس ، ط3 ، 1983. .

23. ماري مادلين دقي، معرفة الذات، تر:نسيم نصر، منشورات عويدات ، بيروت ، ط3، 1983.

24. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000.

25. مصلح النجار وأخرون، الدراسات الثقافية ما بعد الكولونيالية، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، عمان الأردن، ط1 ،2008.

26. مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ،(د.ط)، 2011 .

27. مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ،(حكاية بحار، الدقل، المرفأ) ،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ،(د.ط) ، 2011 .

28. ميشال فوكو ، تأويل الذات، تر: الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط1، يناير 2011.

29. نصر الدين بن غنيسة ، عن أزمة الهوية و رهانات الحداثة في عصر العولمة ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2014 .

30. هارلميس و هوليبورن، تره حاتم حميد محسن، سوسيولوجيا الثقافة و الهوية، دار كيوان للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2010.

31. هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية ، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة ، ط1، 2015.

32. ياسين النصير ، الرواية والمكان ،الموسوعة الصغيرة عن دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – أعظمية ، (د.ط) ، 1986 .

2/ المجلّات:

1. ابراهيم بن محمد الشتوي، في البحث عن الذات دراسة في رواية سفينة وأميرة الظلال للكاتبة مها الفيصل، الأثر مجلة اللآداب واللغات، الجزائر، العدد'، ماي2005.

2. بن صغير كريمة و بومدين سليمان ، مفهوم الذات –مقاربة نفسية–حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية، العدد13، ديسمبر 2015.

3. بن علي لونيس، من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري قراءة في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك "للروائي عمار لخوص، مجلة تمثلات، ع 1، 2015.
4. بوقبس نديرة، الأحياء الفوضوية في الجزائر واشكالية التهميش الحضري، دراسة حالة مدينة قسنطينة، مجلة علوم وتكنولوجياD،عدد42، ديسمبر 2015.
5. حبيبة مسعودي، الأدب ما بعد الكولونيالي: تجربة الذات و الموضوع، مجلة أفاق علمية، المجلد14،العدد2 ،2022.
6. حجاج أبو جبر، هل من مكان للهوية في عالم معولم ؟ استكشاف "الهوية السائلة" عند زيغمونت باومان، مجلة تبين ، عدد 41، مجلد 11، صيف 2022 .
7. ديفيد سبارتي ، الهوية واحراجاتها : من الهوية الشخصية إلى الاعتراف الاجتماعي ، تر : زواوي بغورة ، مجلة تبين ،عدد41 ،مجلد 11، صيف 2022 .
8. رشيد الحاج صالح، لماذا عادت الهويات لتتصدر عالم اليوم؟ نقد تايلر للحداثة و علمانيتها ، مجلة تبين ، العدد41، المجلد11، صيف2022.
9. رشيد الحاج صالح، لماذا عادت الهويات لتتصدر عالم اليوم؟نقد تايلور للحداثة وعلمانيتها ، مجلة تبين ،العدد 41، المجلد 11،صيف 2022.
10. زروقي سعيدون ، حول الهوية : قراءة سوسيو– سياسية لمفهوم الهوية و الانتماء ، مجلة أبعاد ، المجلد 7، العدد 2 ،2020/06/31 .
11. سليم درنوني ، التحولات الوظيفية لمساجد ،الزوايا و الأضرحة بين الأمس واليوم، دراسة انثروبولوجية بالزيبان وجنوب الأوراس ،مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،المجلد 13، العدد 1 ،2021 .
12. صورية جيجخ، إشكالية المركز و الهامش في الأدب ،مجلة المخبر في اللغة و الأدب الجزائري، العدد العاشر، الجزائر ،2014.

13. صونية براهمية، الهوية التنظيمية وآليات تفعيلها في المؤسسة، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15،العدد27، 2018.

14. عبد القادر لكحل، عباس بن يحي، بنية السجن في الخطاب السردي المعاصر،رواية من الصخيرات إلى تازمامارت تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم – أنموذجا– ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب،المجلد :7 ،العدد: 1، جانفي 2023 .

15. عبد الله الجسمي، الهوية مطلب الكرامة وسياسات الضغينة لفرانسيس فوكوياما، مجلة تبيّن، العدد 41، مجلد11، صيف 2022.

16. عرفات عبد الخيّير الرميمة، معرفة الهوية و إعادة بناء الذات عند السيد حسين الحوثي في مشروعه القرآني، في مجلة جامعة البيضاء، جامعة صنعاء، المجلد4، العدد1، ابريل 2022.

17. فضيلة شبابحة، تطور مفهوم الهوية في الفكر السياسي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، المجلد8، العدد 2، 2021.

18. فطيمة الزهرة بايزيد، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية)، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي ،بسكرة.

19. محمد بلعزوقي، هاجس الذات والرواية التجريبية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد6، العدد1، مارس 2023.

20. محمد منادي ادريسي، سؤال الهوية عند جون لوك من الجدال اللاهوتي إلى النقاش العملي، مجلة تبيّن، العدد 34، المجلد 9، خريف 2020.

21. هاجر مباركي و محمد سعيدي، إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استلاب؟ مجلة العلامة دراسات أدبية ،العدد السادس، جوان 2018.

22. وسيلة بكيس وسفيان زدادقة، وعي الأنا والآخر بين الحضور والغياب في الثقافة الغربية المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، المجلد8، العدد1،مارس 2021.

3/ المواقع الالكترونية:

1. احمد شحيط ، سؤال الذات و الهوية ، تاريخ الإنزال :2022/10/11، تاريخ الاطلاع :2023/04/13، الموقع :.middle-east –online-com .

2. جاسر الحربش، هوية الذات والهويات الأخرى، مقال صحفي عن الجزيرة، السعودية تاريخ الانزال2018/12/14 الموقع الالكتروني-al. www jazirah.com تاريخ الاطلاع:2023/04/15.

3. عبد العليم محمد إسماعيل، الهوية الثقافية .com- http//www-aranthropo ،تاريخ الاطلاع: 2023/03/10.

4. لجين محمد نور السوادي، سياسات الهوية الموسوعة السياسية، الموقع الالكتروني: http://political Encyclopédie.orgتاريخ الدخول 26/2023/02/ تاريخ الإنزال 30.10.2021 .

5. هشام مشيال، الذات في السرد، مجلة الكلمة، العدد82، فبراير 2014، الموقع الإلكتروني www ,ahkalima ,net تاريخ الاطلاع:2023/04/12.

فهرس

الفهرس:

الشكر

الإهداء

مقدمة.....أ-ج

مدخل:.....7-10

الفصل الأول: **تمظهرات الهوية والذات في الكتابة الروائية الجزائرية.....12-34**

1_مفهوم الهوية..... 12

1_1_ الهوية أنتروبولوجيا.....13

1_2_فلسفيا.....14

1_3_نفسيا.....15

1_4_اجتماعيا.....16

1_5_سياسيا.....17

2_الهوية في الدراسات الثقافية.....21

2_1_ مفهوم الثقافة.....21

2_2_ الهوية الثقافية.....22

3_ الذات بين التلاشي والبناء.....25

1_الذات نفسيا.....27

2_الذات اجتماعيا.....29

3_الذات المثالية.....31

- تقدير الذات.....31
- مقاييس تقدير الذات.....31
- حب الذات.....31
- النظرة للذات.....32
- الثقة بالنفس.....32

4_ الذات أدبيا.....32

1_السيرة الذاتية.....33

2_التخييل الذاتي.....33
3_الميتاسرد.....33
الفصل الثاني:تجليات التهميش الهوياتي في رواية "الحي السفلي"لـــــعبد الوهاب بن منصور.....36-69
1_قراءة ثقافية لغلاف الرواية.....36
- صورة المدونة.....42
2_تجليات التهميش الهوياتي في الرواية.....45
2_1_ تهميش الذات.....45
2_2_إعادة بناء الذات المتلاشية.....51
2_2_1_من الهامش إلى المركز.....52
2_2_2_من المركز إلى الهامش.....55
3_دلالة المكان المهمش.....58
1_1_دلالات الحي السفلي.....61
1_2_دلالات البيت.....63
_البيت/الخطر.....63
_البيت/المرض.....64
_البيت/الجنس.....65
1_3_دلالة السجن.....65
_السجن/الجسد.....66
1_4_دلالة الضريح.....67
_الضريح/الأمان.....67
_الضريح/الجنس.....68
الخاتمة.....71-73
تلخيص الرواية.....75
قائمة المصادر.....78
الفهرسة.....86

الملخص:

تعتبر إشكالية "الهوية والذات "من أهم الإشكالات التي اشتغل فيها الخطاب الروائي المعاصر عربيا وجزائريا كموضوعات ذات حمولة ثقافية.

ففتحت التجربة السردية المعاصرة مجالا واسعا لاستنباط المخبوء واكتشاف المضمر واستنطاق المسكوت فيه، من خلال العودة إلى مساءلة الذات المهمشة و"الأنا" المقموعة من طرف سلطة المركز لإعادة الاعتبار لهاو بناء هوياتها المتلاشية والمتشظية من جديد.

وتهدف هذه الدراسة المعنونة ***"الهوية وإعادة بناء الذات المتلاشية"*** **في** رواية "الحي السفلي لعبد الوهاب بن منصور" للكشف عن جوهر الهوية والكينونة الذاتية للإنسان الهامشي وإحياء قيمته الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: **الهوية، إعادة البناء، الذات، الرواية**

Abstract :

The problem of "identity and self" is one of the most important problems in which contemporary narrative discourse, Arabic and Algerian, has been engaged. As culturally charged subjects. Contemporary narrative experience has opened up a wide scope for deducing the hidden, discovering the implicit, and deducing the silent, by returning to the marginalised self-accountability and the "I" suppressed by centralized authority to reconsider how to reconstruct their fading and fragmented identities. This study, entitled "Identity and the Reconstruction of the Disappearing Self" in the novel "The Lower Quarter of Abdul Wahhab Bin Mansour", aims to reveal the essence of identity and the self-identity of the marginal human being and revive his humanity.

Key words: identity, reconstruction, the self, the novel.